محمد الحسين المظفر

الثقلان

الكتابُ والعترة

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

محمد الحسين المظفر

الثقلان

الكتاب والعترة

مكتبة نينوى الحديثة

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد والمجد وصلاته وسلامه على صفوته محمد وعترته

كلمة المجمع الديني عن الكتاب والمؤلف

— ١ —

لقد قال قلم اللجنة ، وهو يقدم كتاب الشيعة والامامة لفضيلة العلامة الكبير الشيخ محمد حسين المظفر ان الشيخ مثال من أمثلة النشاط والحزم قليل النظير، والحق انه كذلك وتشهد له اضبارة محاضراته الاسبوعية فى لجنة (المجمع الثقافي الديني لمنتدى النشر) التي تزخر بالوان من المحاضرات القيمة في مواضيع شتى علمية وادبية وما هذه المحاضرات التي يقدمها (المجمع) اليوم إلا بعض ما تحفل به تلكم الاضبارة وحسبنا ان نذكر القراء باثره الخالد ﴿الصادق﴾ الذي خرج من المطبعة بجزئيه

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

في العام الماضي ليدل الناس على ما وفق اليه الشيخ من الجلد والمثابرة على استقصاء تلكم المراجع القديمة التي لا يقوى على معاناة ما منيت به من تعقد في الاسلوب ورداءة في الطبع غير القلائل من الرجال ثم ليدلهم على تبحره وتدقيقه وعلى ذوقه في تبويبه وتنسيقه واخراجه بهذه الحلة التي تعجب الناظر وتستهوي القارئ .

— ٢ —

ورسالته هذه دليل آخر على نشاط الشيخ وصبره فحديث الثقلين حديث مشهور مستفيض الورود في كتب الحديث المشهورة يمر به الناس فلا يحفلون لدلالته ولا يلتفتون اليها ولكن الشيخ ينظر الحديث من وجهة عقلية ويتأمل فيه فيخرج من تأملاته بمحاضرات ثلاث كبيرة يلقيها على اعضاء المجمع في اسابيع ثلاث ثم يعدها المجمع للطبع في ضمن ما اخرجه من كتب قيمة واذا الحديث كما يرى الشيخ نص في معناه ولا يكتفي بذلك بل يعرض لجميع ملابساته فيبرزها باسلوبه الشائق .

— ٣ —

ولعل القراء يعتبون علينا لتأخرنا عن مواصلة طبع الكتب

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

التي حصلت على رضى الكثير منهم فاطروها في صحف العالم العربي وفي رسائلهم التي كادت ان تملأ اضبارة كبيرة ولهم الحق في هذا العتب لانهم لا يعلمون ما نعانيه من تأخر الطباعة وقلة المطابع وحسبهم ان يعلموا ان اللجنة بعثت ببعض كتبها الى مطابع بغداد ولكنها هي الاخرى - اعني مطابع بغداد - لم تفسح المجال إلا بعد صبر طويل وسيوافي القراء (كتاب المنطق) لفضيلة المعتمد العام لجمعية منتدى النشر الشيخ محمد رضا المظفر قريباً ان شاء الله ولينتظر القراء ان نوافيهم بالكتب جهد استطاعتنا ما ساعدتنا المطابع في النجف ، مادام نشاط المجمع الثقافي يتضاعف في كل لحظة بفضل رئيسه الجليل ادامه الله وكثر في رجال العلم امثاله .

قلم اللجنة

﴿ المكتبة التخصصية للرد على الوهابية ﴾



الحمد لله ذي المن والالطاف ، والرحمة والعطف ، وصلاته وسلامه على صفوة البشر ، محمد وعترته الغرر ، الثقل الكريم ، وعدل القرآن العظيم ، الذين من تمسك بهما اهتدى ، ومن تخلف عنهما ضل وهوى .

المقدمة

الكتاب والعترة

وبعد فان من حظوة المرء ان يتلقى دينه عن برهان ودليل ، يوصلانه الى البصيرة واليقين ، وكان من توفيقه جلّ شأنه ان هداني الى الاسلام دين الفطرة ، فكنت عليه بالفطرة الى ان ابصرت رشدي فقامت لدي على صحته براهين تفوت حد الاحصاء ، وما كان العقل لينفرد بقبول هذا الدين المستقيم ، بل كادت كل جارحة ان تلمس وتحس الايمان ايقانا بآياته .

وأحسب ان رسوخ هذه العقيدة فى النفس وتوطنها

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

القلب ، ذلك التوطن الذي لا يبتغي عنه بدلا ولا تحويلا ، ولا يعتريه تضعضع ولا صدوع ، طارئ من اشتراك الحواس والجوانح والجوارح كلها مع العقل في قبول تلك العقيدة وتلقيها .

وبتلك الفطرة كان ولائي لعترة نبي الرحمة والسلام صلى الله عليه وآله وسلم وقولي بامامتهم ، فمن اليوم الذي نطق به لساني باسم هذا النبي الامي ـ محمد ـ انطلق باسماء عترته لا سيما ـ علي ـ وعلى تلك الفطرة درجت الى ان بلغت من الادراك والمعارف مبلغاً لا يقبل الله تعالى معها الايمان بلا برهان ، فانثالت عليّ ادلة بالنزر منها تقتنع البصيرة بوجوب ذلك الولاء ، وصحة تلك الامامة ، فكانت العقيدة مزيجة من الاسلام والايمان ، ومن النبوة والامامة .

وقد شدّ الكتاب والسنة أزر العقل على الذهاب الى امامة العترة وولائهم ، وقد أوردت شطراً منهما في كتاب ـ عصور الشيعة ـ وجئت بالبرهان العقلي على هاتيك الامامة في رسالة ـ الشيعة والامامة ـ

واستطردت في كتاب العصور حديث (الثقلين)

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

واوجزت البيان عن مدلوله ، دأبي فيما ذكرته هناك من آية ورواية ، وكان هذا الحديث الشريف جديراً ببسط القول عن منطوقه ، لما جمعه من مقاصد جليله حقيقة بالرعاية والعناية ، وأجد ان هـذا الحديث وحده يغني البصير في ولاء العترة اهل البيت وامامتهم عن كل برهان سواه .

وما اكثر من كتب وما كتب في شأن هذا الحديث ولكن سلاسلة الفاظه ، وفصاحة بيانه ، لا تحوجك الى سبر هاتيك الكتب المبسوطة ، في الحصول على ما يدل عليه هـذا الحديث الشريف ، بل القاؤك بنظرة واحدة على فصيح عبارته يرجعك وانت مطمئن القلب بما دل عليه ، واثق النفس بما افاده .

إن مما منح به نبينا العربي صلى الله عليه وآله وسلم فصاحة المنطق ، وكان حقيقاً بتلك الفصاحة ، لأنه وليد تلك المدرة التي جمعت فصحاء العرب ، المجتهدين في انتقاء البليغ من الالفاظ ، وهو بعد في افصحهم بيتاً ، وأفضلهم معارف ودراية ، ورضيع تلك البادية النقية ، التي تغذت الهواء الطلق وحاربت البطنة بقلة الغـذاء ، فخفت منها الطباع والابدان وصفت منها الافكار والارواح ، وانت خبير كيف تدني

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

المرء هذه الخلال من مراقي الفصاحة والبلاغة .

ولو لم تكن له تلك الولادة وذلك الرضاع لكان له من النبوة المحل الارفع من بليغ البيان ، لأن النبي يجب ان يكون افضل اهل زمانه في شؤون الفضل ، فوجب ان يكون افصح الناس ليقوى بفصيح منطقه على تبليغ الناس وافهامهم ، واقامة الحجة عليهم بالبيان ، ولا تغلب حجة احد حجته ، ولا يعيي امام اهل الفصاحة والبلاغة .

وإن من مميزات بلاغته ان بيانه مفهوم لكل احد ، العام والخاص ، والعالم والجاهل ، والفصيح والالكن ، والذكي والغبي ، خصوصاً فيما يريد به إعلام هؤلاء جميعاً ، واقامة الحجة عليهم كافة ، وقطع المعاذير منهم اجمع .

فحديث ـ الثقلين ـ من ذلك البيان البليغ الذي عني به اعلام الناس عامة ، عن أمر فيه حياة الأمة السياسية والدينية بل ان فى الامامة حياة الأمة من كل ناحية ، أليس الامام قائماً بوظائف الرسول ، ولا تفوته إلا النبوة ، تلك المنزلة الخاصة ، فالامام المرجع لهاتيك المقاصد الساميـة التي بشر بها الرسول

﴿ المكتبة التخصصية للرد على الوهابية ﴾

الاكرم في دعوته ، ودعا بها الناس الى اقتطاف ثمار السعادة عاجلة وآجلة ، وهذه المقاصد هي كل شيء في حياتي الأمة ، فالامة في حاجة لا مناص عنها الى ذلك الامام المصلح في جميع شؤون الحياتين .

فلما كان هذا الحديث الشريف معنيا به الأمة جمعاء حق ان يكون من فصاحة البيان وسلاسة التعبير صالحاً كل الصلاح لأن تقوم به الحجة عليهم جميعاً ، ويقوى الكل على فهم القصد منه من دون عناء وكلفة .

وكان هذا الحديث الكريم من هاتيك الادلة التي ارغمتني على الاعتقاد بامامة اولئك الفئة من اهل البيت ، وقادتني الى القول بعصمتهم ، والزمتني بولائهم ، والاذعان بامور أخرى تخصهم ، كما سنفصح عن بعضها ، فرغبت ان اسيك ما وصل اليه فهمي لتلك المقاصد منه بيانا ينطق به لسان القلم ، فان كنت اصبت الهدف فتلك السعادة التي رجوتها من ارشاد نبي الرحمة والاصلاح (ص) ، وان اخطأ السهم الرمية فاجدر بك ـ ايها المؤمن ـ ان تأخذ بي الى سنن الطريق ، ومستقيم السنن ، فان المؤمن مرآة أخيه المؤمن ، ومن أحق من

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

المؤمنين بالنصيحة والتعاون للوصول الى معارج الحق، وماضالتي المنشودة إلا بلوغ الحق ، ونصرة الحق .

وها أنذا اضع ما فهمته من هذا الحديث الشريف أمام بصرك و بصيرتك بعبارات ليس فيها تطويل يبعدك عن القصد ، ولا وجازة تخل بالغرض ، واذا فاتني بعض أغراضه أو اجتزت حدود مقاصده فامر لا غرابة فيه ، شأن عامة البشر ممن لم تجب العصمة لهم ، وكان الخطأ غير مستنكر منهم .

واني لأتعوذ به عز شأنه من العمد في المخالفة ، واقتحام الخطأ فى القول والعمل ، كما أسأله تعالى ان يجيرني من السهو والغفلة ، انه سميع مجيب .

نص الحديث

اختلفت الروايات فى نص هذا الحديث الشريف ، غير ان الاختلاف الذي جاء فيه لا يغير مفاده ، ولا يجعل منه منزعا للتأويل الزائغ ، ولا ذريعة للفرار عما الزم به منطوقه .

وهذا الاختلاف يشهد لما قيل : من ان الرسول الامين (ص) نطق بمفاد هذا الحديث في عدة مواطن ، مراعيا وحدة المعنى والغرض ، كما ان تعدد الرواة له وتعدد

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

الطرق لروايته ينبينا عن تعدد تلك المواطن ، ومن تلك المواطن حجة الوداع يوم عرفة عند مجتمع الناس ، ومنها يوم الغدير في خطبته ، ومنها مرض موته عند وصاياه لامته .

ونحن نورد لك أحد تلك النصوص ، اوسطها بيانا وظهوراً ، وهو قوله صلى الله عليه وآله : « اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابداً ، ألا وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض »

وجاءت فى بعض نصوص هذا الحديث تصريحات عن الغرض المعني أوفر مما هو موجود في هذا النص ، امثال قوله (ص) : (إني تارك فيكم خليفتين) بدل لفظ ـ الثقلين ـ وقوله فى آخره : (ولا تعلموهم فانهم اعلم منكم) الى غير ذلك ، تركناها أخذاً باواسط الامور ، وجعلنا لفظ هذا النص المتقدم هدف البيان ، ومقصد القول .

النشر

بلغ هذا الحديث الشريف من الشهرة ما اغنى عن استطراد مصادره ، فانه قد رواه الفريقان واعترفت به الفرقتان

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

وعرفه الخاص والعام، بل حفظه الصغير والكبير ، والعالم والجاهل ، فهو فاكهة الاندية ، وفي مذاق الافواه. حتى كاد ان يتجاوز حد التواتر ، وللطمأنينة نشير الى بعض تلك المصادر .

فهذا أحمد يرويه في مسنده من طرق عديدة عن جماعة كثيرة انظر المسند (٣ : ١٧ و ٥٩) و (٤ : ٣٦٧) و (٥ : ١٨٢ و ١٨٩) الى غيرها

وهذا مسلم يرويه فى صحيحه فى فضائل علي عليه السلام من عدة طرق والحاكم يرويه فى المستدرك (٣ : ١٠٩)

وابن حجر فى صواعقه بعد الآية الرابعة من الآيات النازلة في فضل أهل البيت يقول : ثم اعلم ان لحديث التمسك بذلك طرقا عديدة وردت عن نيف وعشرين صحابياً .

والسيوطي رواه فى (احياء الميت بفضائل اهل البيت) المطبوع فى هامش (الاتحاف بحب الاشراف) من طرق كثيرة .

والشيخ سليمان يرويه فى ينابيع المودة ص ٢٤ طبعة بمبي من طرق كثيرة جداً ، عن الترمذى وابن ماجة والطبراني والثعلبي فى تفسيره وعن كثير سواهم .

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

والحافظ الطبري في ذخائر العقبى ص ١٦ من عدة طرق
إن استقصاء الرواة والطرق لهذا الحديث الشريف يخرجنا عن الصدد ، ويخرج هذه الرسالة عما وضعت له من الوجازة ، وقد عرفت ان هذا الحديث جاء طي حديث الغدير ايضا ، فكثير ممن روى حديث الغدير قد رواه ، فهل يا ترى كم يبلغ رواة الغدير والكتب التي ذكرته ، ولقد قيل : ان طرقه قد بلغت ما ئتين وخمسين طريقاً وان من يتصفح الكتب التي كتبت عن حديث الغدير لا يستبعد هذا العدد الجم ، ولو جاء حديث الثقلين ضمن البعض من هذه الطرق ـ وقد جاء فعلا ـ لكان متجاوزاً حد التواتر .

وان شئت ان تستوضح الحال وتقف على حال السند وطرقه تفصيلا فدونك الكتب المبسوطة ، ويغنيك منها كتاب العبقات .

معنى الحديث

اصبح الاخذ بهذا الحديث لزاما ، والعمل به حتما ، بعد أن اصبح حجة في سنده ، غير اننا نريد ان نفقه معنى الحديث لنرى ما يرشدنا اليه ، ويدلنا عليه ، فنسير على ضوئه ،

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

ونستضيء بمصباحه .

والحديث كما اشرنا اليه لا لبس فيه ولا تعقيد ولا اجمال ولا اغلاق ، فسلاسة الفاظه ، وانتظام سبكه وفصاحة بيانه تطمع كل احد في فهم مقاصده . من دون غور في الاستخراج ولا تكلف في الاستنباط واليك ما أفهمه منه .

ولا اريد أن افرض فهمي عليك ولكني اريد منك أيها القاريء الكريم ان تنظر الى الحديث نظرتي اليه متجرداً عن النزعات الطائفية . بعيداً عن العقائد المذهبية . لنرى ما ذا يوصلنا اليه هذا الحديث الشريف فاني لارى ان لهذا الحديث الكريم اثراً قيما في توجيه الامامة ، وجعل القيم على الشريعة ، المستودع لعلم الكتاب ، الذي به هداية الامة لو تمسكت به ، والامة اليوم وقبل اليوم في حاجة كبرى الى الهداة الذين تجتمع بهم الكلمة ، ويوحد المذهب ، ولا اجتماع ولا وحدة والمذاهب شتى ، والآراء متفرقة ، والعقائد توحيها الاهواء . فالحديث على ايجازه يقودنا الى الوحدة سياسياً ومذهبياً ، وتلك من معاجز بيانه ، وحججه البالغة .

﴿ المكتبة التخصصية للرد على الوهابية ﴾

انى تارك فيكم

جاء فى بدء هذا الحديث المبارك قوله (ص) : (إني تارك فيكم) وهذا الخطاب يقصد به جميع الأمة ، كل جيل جيل وكل عصر عصر وهذا الاسلوب من البيان جاء على نهج ارباب المحاورات وجرى على صيغ أوامر اهل الامر ، ومن اليهم الحل والعقد وحين كان تبليغاً للحاضر والبادي والشاهد والغائب تنقطع عنده المعاذير ممن يزعم ان البلاغ لم يصل اليه بان الرسول (ص) نصب للامة علماً يوضح لها ما اشكل من الكتاب ويعرفها ما تجهل من معالم الشريعة واماماً يخلفه فى اداء وظائفه عدا شعار النبوة وطابعها الخاص .

ونعرف الغرض المعني من هذه الكلمة — لو التبس علينا القصد وليس بملتبس — بمثل كلامه من رجال ينظرون الى ما وراء اليوم ويرون انفسهم مسؤولين عما فى غد ومنه نتقرب الى معرفة ما كان على الرسول (ص) من الوقوف لنصح الامة وهدايتها عمر الدهر والقصد من كلامه الذي يريد به ذلك النصح والرشد لو غاب عنهم فان الشيء يعرف

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

بنظائره واشباهه .

ونضرب امثلة نفرضها من مواقف رجال تختلف مقاديرها في المجتمع ومسؤولياتها امام الناس ليكمل لنا القياس ونقوى على الزنة . واليك شيئاً مما أريد فرضه .

فلو ان احداً من سواد الناس يريد سفراً نائياً وله اهل وصبية يقوم بتغذيتهم وتربيتهم وليس لهم سواه معول في الاعاشة والتقويم وقال لهم عند محاولته السفر : إني تارك فيكم فلانا . فماذا تفهم من هذه الكلمة اتراه يريد غير نصب الخلف عنه في القيام بمهماتهم وتقويم إودهم لتسكن بذلك نفوسهم وتطمئن قلوبهم لان النفوس من شأنها الفزع والهلع اذا فقدت الكفيل الضمين والاب الحاني الرؤوف .

أو ان احداً من ارباب التجارة أو الصناعة وله مراجعات ومراسلات وعمال وكتبة او معامل وصناع . وهو يريد السفر بعيداً عن محله . وأنت تعلم كيف يئول أمر تجارته أو صناعته اذا لم يجعل القيم النائب عنه في تسيير الامر فلو قال وهو على أهبة السفر : اني تارك فيكم فلاناً . اتراه يعني غير الخلف عنه القائم مقامه في تسيير دفة اعماله والمرجع لهم فيما لهم من حق

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

وراتب ، وفيما له عليهم من حق ، فانه لا ينتظم أمر كبير
ولا يتم امر جليل ، من دون زعيم يقوم على رأس ذلك
الامر والعمل .

وهكذا يتضح الامر جليًا من ارباب الادارة والحكم
فانه لا يغيب احدهم عن مقر وظيفته إلا ويجعل له الخلف في
ادارة احوال الناس ، وان غاب ولو يوما واحداً من دون
نائب وخلف لم يأمن من اضطراب حبل الامن ، ومن ارتباك
الناس لوقوف اعمالها التي ترتبط بوظيفته ، فكيف اذا غاب
زمنًا طويلا . اتراه يستتب الامن ، ويسير النظام من دون
خلف يقوم بتسيير البلاد ، ومن ثم لا يسوغون لذلك الاداري
ان يغادر البلاد ويتركها هملا من غير راع وسائس يقوم مقامه
فلو قال عند سفره : اني تارك فيكم فلانا ، الست تراه يريد
القائم مقامه في اداء وظيفته وادارة اعماله المسؤول عنها .

ويظهر لنا الحال واضحاً في الملك ورعيته فيما اذا حاول
الملك رحلة الى بلاد اخرى ، أو أريد به ارتحالا الى الاخرى
وقال للناس وكلهم قلب فزع حذراً من الاهمال أو الاخلال
بجعل النائب عن شخصه ، القائم بكبير اعماله : إني تارك فيكم

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

فلانا ، فماذا تراه يقصد من هذا القول عنـد تلك الرحلة أو ذلك الارتحـال ، اتراه يعني غير نصبه مكانه وجعله الخلف من بعده ، بماله من وظيفة وحق ، وما للناس عليه من حق ، تطمينا للنفوس الجائشة ، وتهدئة للقلوب الخائفة . لأن الرعيـة تجد نفسـها من غير سائس كالنعم بغير راع ، فاذا عرفت الخاف بعـد السالف هدأت بالا واطمأنت جأشا ، لا سيما اذا كان في الامة من يطمع بالعرش ، وينتهز الفرصة للوثبـة ، أو كان هناك أعداء ينتظرون خلو البلاد من ذلك الملك ليثبوا على عرشه ، ويبطلوا الجهود التي قام بها في خدمة البلاد واصلاحها أفهل يا ترى يفهم الناس من كلمته تلك والحال على ما عرفت غير أنه يريد الاعلام عن الخليفة عنه ، والقائم باعماله عند غيابه .

ونعرف الحال من كثب في العالم المرشد الذي افاد الناس بنصائحـه وتعاليمه ـ والناس في حاجة ابداً الى المرشد الصالح ـ فلو اراد هذا الدليل المرشد ان يغيب طويلا غيبة آيب أو مفـارق ، والناس لا تعرف من يصلح للارشاد من بعده كما يعرفه ذلك العالم الناصح ، وهل يا ترى ان اهل العلم والعرفان ادرى بامثالهم ام سائر الناس ، ويجـد نفسه مسؤولا

﴿ المكتبة التخصصية للرد على الوهابية ﴾

أمام الله والعقل والناس لو تركهم وانفسهم يخبطون خبط عشواء في اختيار المرشد الناصح ، والعالم الصالح ، على ان الناس في كل عصر غير نقيـــة من اهل الزيغ والضلال ، أو ارباب المطامع الشخصية ، فلو قال ذلك العالم المصلح وهو على جناح سفر : إني تارك فيكم فلانا ، فماذا يفهم منـه الناس الذين التفوا حوله . وهم ينتظرون نصحه ورشده . أفلا يرونه انه دلهم على الخلف الناصح الذي فيه الهدى والنجاة .

هذه أمثلة نزرة وما اكثر امثالها اضعها نصب عينيك لنتقرب بها من فهم القصد من تلك الكلمة الكريمة التي وردت في صدر الحديث الشريف . فان الشيء يعرف بنظيره . وان هذا الاسلوب من البيـان جار عند جميع الطبقـات من البشر . الذين يرون أنفسهم مسؤولين عما وراءهم .

وما جاءت هـــذه الامثلة إلا عن مسؤولين عن ناحية خاصة . واما لو كان الذي يحاول الغيـاب ممن يجمع مسؤوليات عديدة . والناس لديه شرع سواء . يرعى حالهم من ناحيتي المعاش والمعـاد . ويروم لهم السعادة في الحياة العاجلة والآجلة وليس في الناس مثيله من يجمع شرف العلم وفضيلة العمل . ويضم

﴿ المكتبة التخصصية للرد على الوهابية ﴾

الى الدين الادارة حتى يفزعوا اليه عند غيابه . إلا ان يدلهم هو على ذلك البديل الذي يصلح للقيام بمؤولياته ، فاذا قال للناس وقد شد رحله وقدم راحلته للسفر ، والناس حوله ينظرون الى نبرات شفتيه وقسمات وجهه التى تنبع في الرضى والغضب والحزن والفرح تقاطيع صوته ، وتقطع عباراته ، وينظرون منه النصح والارشاد ، كما اعتادوه منه ولمسوه من قوله وفعله : إني تاركٌ فيكم فلانا ، فماذا يفهم منه ذلك الخلق الجاثي حوله غير أعلامهم عن جعل الخلف بعده لطفاً بهم وعطفاً عليهم ، ذلك الخلف الذى يقودهم الى سبل السعادة والخير ، و يصدهم عن مهاوي الشقاء والشر ، من الناحيتين السياسية والدينية ، وفي الحياتين الفانية والباقية .

هذا ما يفهمه الناس في عرف المخاطبات والمحاورات ، والوصايا والالزامات ، على ان ذلك القائل ليس له صفة إلهية خاصة ، فكيف اذا كان سفيراً بين الخالق والخليقة ، ومرسلا رحمة للعالمين ، ليخرجهم من الظلمات الى النور ، ومن الضلال الى الهدى ، ومن الشقوة الى السعادة ، وكان ما ينطق به وحياً يوحى علمه شديد القوى ، فاذا قال وهو على

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

اهبة السفر الى الرفيق الاعلى ، قال وهو يعلم انه المسؤول عن الامة جمعاء امام الخالق والخلق والعقل والمنطق ، قال وهو يعلم أنه أهدى الى الخلف الصالح الناصح ، وأعرف بالامام الهادي ، قال وهو يعلم انه لو ترك الدلالة على خلفه لم يسلم من الملامة ، قال وهو يعلم انه مسؤول عن الامـــة من جميع نواحي حياتها دنيا واخرى ، فانه المشرّع والمنفذ والعالم والحاكم والمرشد والسائس قال : إني تارك فيكم الثقلين ، فماذا ترى يقصد من كلمته هذه اتراه يريد غير النص على الخليفة من بعده الذي يقوى على القيام بوظائفه بعد غيابه ، وعلى النهوض باعباء مسؤوليته ، فرضا لا رخصة فيه ، وتعيينا لا خيار به ، واماما لا بدل عنه ، وانه هو الجاعل دونهم ، والمعين دون رأى منهم .

وما قوله إني تارك إلا كما لوقال : امرني العليم عزوجل أن انصب عليكم اماما وخليفة من بعدي . لانه لا ينطق عن الهوى او الحب لذوي القربى بل لا ينطق إلا عن وحي يوحى اليه .

ويشهد لهذا المفاد من انه (ص) يقصد به هذا القول نصب الخليفة من بعده ما ورد في بعض نصوص الحديث : اني تارك فيكم خليفتين انظر مسند احمد (٥ : ١٨٢ و ١٨٩) وهل

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

بعد التصريح بلفظ الخلافة من نص .

ومن عرف مناسبات المحاورات مع قرائن الاحوال لا يجد فرقا في فهم القصد بين التصريح بلفظ الخلافة او الاكتفاء عنها بلفظ الثقلين ، لأن دلالته على الخلافة والامامة واضحة لمن يريد أن لا يكون بينه وبين اللفظ ومدلوله شيء من المرتكزات التقليدية ، والعقائد الاتباعية ، فان للارتكاز والعقيدة سيطرة على ظهور الدليل بل ونصه ، لأن المرء جهده يصرف اللفظ عما دل عليه الى ما يراه ويعتقد به ولو رجعنا الى ما ترشدنا اليه الادلة دون ان تدخل في الدلالة الاغراض والاهواء لم تبعد الشقة بين اهل المذاهب والعقائد .

ولو قيل : إن الرسول (ص) يترك في كل غزوة يقودها بنفسه أميراً على المدينة . وينوه بخلافته عنه فلماذا لا نرى خلافة أولئك الامراء . وقد صرح (ص) بتلك الخلافة .

لقلنا : إن هذه الخلافة خلافة على أمر خاص . و بلد خاص . ايام حياته خاصة . وفي ايام معدودة . واين هذه من تلك الخلافة العامة بعد وفاته . وعلى الامة جمعاء . الى أمد غير محدود . بل صرح (ص) في بعض نصوص الحديث انه

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

سوف يدعى فيجيب . أليس هذا إذن وقت التخليف ونصب الرائد الراعي . والامام العام. الامام الذي لا غنى للامة عنه . القائم ـ لكفايته ومقدرته ـ بوظائف الرسول (ص) واعباء مسؤوليته : وما على الرسول إلا البلاغ المبين . وما عليه اذا لم تسمع الامة قوله وتطع امره . واذا خالفوه فانما أساؤا لأنفسهم . وحادوا عن الطريق الذي هداهم اليه ووجب عليهم السلوك فيه . وليس عليه ولا على الخلف بعده غضاضة اذا عمد الناس على خلافهما وتركوا الائتمام بهما .

واذا كان النبي صلى الله عليه وآله لا يترك المدينة اياما قليلة بغير خليفة وأمير . فكيف يترك الامة كلها عمر الدنيا بغير قائد ورائد . وامام وخليفة . يجمعهم على الهدى والرشاد . ويدلهم على الخير والصلاح . ويعرفهم ما جهلوه من معاني التنزيل واحكام الشريعة ، ويصرفهم عن مهاوي الجهل والفساد مع حاجتهم الى تلك الدلالة وذلك التعليم والارشاد . والى هذا الصرف والصد .

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

الثقلين

قال فى القاموس فى (ثقل) : والثقل محركة متاع المسافر وحشمه وكل شيء نفيس مصون . ومنه الحديث إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي .

وكفى مافى القاموس عما يذكره سواهم من ارباب المعاجم اللغوية . لأن القصد من الاستشهاد به ان نعرف المعنى المطابقي للثقل عند اهل اللسان ، فمن هذا تعرف ان التعبير عن الخلف بعده بالثقل تلويح بل تصريح عند ارباب المحاورة والبيان بعظم شأن الخلف لنفاسته . وهذا وحده يغني الناس في وجوب العناية بذلك الخلف فيما يليق بشأنه . فالعناية بالكتاب الاخذ بتعاليمه وتطبيق احكامه . والعمل بنصائحه وعظاته . الى غير ذلك مما فيه سعادة البشر وصلاحهم والعناية بالعترة اعظامها واكرامها والامتثال لاوامرها والارتداع بزواجرها والعمل بما تسديه من ارشاد وهدى الى ما سوى هذا مما فيه حياة الامة

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

دنيا وأخرى ، لأن جميع ما لديهم اخذوه عن الفرقان وعن الصادع به .

وليس الاهتمام في جودة خط الكتاب والتجويد به يعد عند ارباب البصائر من العناية به ، من دون اخذ بنصائحه وارشاداته ، وعمل باوامره ونواهيه ، كما ان احترام العترة وحباءها وان كان من العناية إلا انه لا يتم ذلك ما لم يتمسك بهداها التزاماً بما ترشد اليه وتدعو له من اوامر الكتاب والسنة ، لان اللائق بالكتاب الذي نزل ناموساً للبشر ان يعملوا بتلك الأنظمة والاحكام ، واللائق بالعترة التي جمعت الى العلم الهداية والصلاح ان يستقي الناس من ينابيع معارفهم وعلومهم ، ويعملوا بنصائحهم ويقتدوا بهديهم ، فانهم لا يوجهون الناس الا الى السعادة في الحياتين وهذا اللفظ وحده يرشدنا الى ما اشرنا اليه من شأن الثقل وان لم ننظره مقترناً باول الحديث وآخره ، فكيف اذا نظرناه جملة واحدة مشفوعا بصدره وبعجزه ، ومقروناً بالآيات والروايات اللواتي حثت على الاعتصام بهذا الخلف ، وما كان ذلك الحث والترغيب إلا اصلاح البشر انفسهم . فان بالتمسك به الهدى وعدم الضلال عمر الدنيا ، كما يفصح به الحديث نفسه

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

ويرشد اليه غيره ، وجاء في بعض نصوص هذا الحديث قوله : ولا تعلموهم فانهم اعلم منكم ، كما يرويه في الينابيع ص ٢٩ عن المناقب ، ومن هنا تعلم ان التمسك بالعترة انما هو لحاجة النـاس الى علم العترة واما العترة فهي في غنى عن علم النـاس لانها اعلم منهم ، فأمر المصلح الاكبر خاتم الرسل (ص) بالتمسك بالثقلين ما كان للعناية بشأن الكتاب والعترة لانهما كتاب وعترة فحسب ، بل لان بهما الهداية والرشد للامة عمر الدنيـا ما استمسكت بهما ، فكما كانت رسالته رحمة للعباد كانت استدامة الرحمة بوجود الثقلين ، وهذا كله من الطافه تعالى بعباده وهو اللطيف الرحيم .

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

كتاب الله

لامناص من ان يكون الكتاب خليفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وان لم ينص الرسول على خلافته عنه ، لان فيه الحكم والاحكام ، والنصائح والاخلاق ، والتعليم والارشاد ، واخبار الاوائل وعبر الماضين ، الى ما سوى ذلك مما فيه حياة البشر لو تبصروا فيه وعملوا به ، وأي شيء من هذا تستغني الامة عنه ، بل فيه كلما يحتاج اليه الناس ، كما يقول سبحانه : (مافرطنا في الكتاب من شيء) (١) وكما يقول تعالى خطابا لسيد رسله (ص): « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء » (٢) .

غير ان مداركنا قاصرة عن الوصول الى هذه الكلية الواسعة ، كما ان الكتاب لا يكون فيه مبالغة ولا غلو ولا كذب ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلا بد اذن من ان يكون له قوم يعرفون مدى ما فيه ، ويعلمون ما حواه ، ودلنا الكتاب

---

(١) الاعراف : ٣٨ . (٢) النحل : ٩١ .

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

نفسه على وجود العلماء بتأويله حسبما نزل وصدع به الرسول الاكرم؛ وذلك حيث يقول سبحانه خطابا لرسوله الامين (ص) :

« هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم » (١) .

فهذه الآية المباركة اعلمتنا بصريح منطوقها ان في القرآن آيات محكمة وأخر متشابهة ؛ وان العالمين بتأويله بعد الله جل ذكره الفاصلين بين محكمه ومتشابهه قوم راسخ علمهم ، لا يعتريه تزلزل وشك ، ولا شبهة وريب .

واما الناس الذين اخذوا علمهم عن الناس فلا يكون علمهم ثابت الاساس رفيع البناء ، بل لابد ان يكون قائماً على شفا جرف هار ، وما قرن سبحانه علم التأويل لأولئك العلماء بعلمه تعالى إلالأن علمهم مستمد من ينبوع فيضه ،

وهل ياترى يستودع الله تعالى جواهر علمه ومفاتيح غيبه عند من لا يقوى على احتمال تلك الوديعة ، ولا يعرف زنتها

---

(١) آل عمران : ٥ .

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

من الكرامة ، أو يودعها عند من لا يكون أميناً عليها ، ولا يقدر على الاحتفاظ بها ، فيلقيها الى كل من يلقاه ، ويفضي بها الى كل من يسأله ، وان لم يكن وعاؤه صالحاً لاستيداع ذلك الجوهر النفيس ، أو يستودعها عند من يتبع هواه لاهداه ، ويقتفي ميوله لا نزوله ، أو يزيغ ويخطئ ويسهو وينسى ، كلا ، لا يكون ذلك شأن من يريده العلاّم تعالى وعاءاً لاستيداع غيبه المكنون وعلمه الثمين ، ويريده اداة لاصلاح العباد بل لا بد ان يكون قوياً على احتمال عبء تلك الوديعة ، اميناً عليها ، يعرف عند من يستودعها والى من يفضي بها ، لا يعتريه الريب والشك والسهو والنسيان والزيغ والخطأ في ذلك العلم المستودع ، وإلا لاختلط الحابل بالنابل وصار ما ينسبه الى الله سبحانه مشوبا من حق وباطل وصواب وخطأ ، واذا علم الناس انه خزانة علم الله جل وعزّ وأدلى الى الناس بالخطأ والزيغ والضلال سهواً أو غفلة أو نسياناً فقد اوقع الامة بالفساد وقد أراد الله جل اسمه ايداعه العلم للاصلاح واخراج الناس من غياهب الضلال ومهاوي الجهل والشقاء .

فمن هذه الآية الكريمة علمنا ان للكتاب العزيز علماء بالتأويل لا يجهلون ، ومعصومين لا يخطئون ولا يسهون ولا ينسون

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

كما ان الآية الكريمة دلتنا على فئة اخرى زعمت ان لها علماً بالتأويل ، وهم ارباب الزيغ والضلال ، الذين اتبعوا ماتشابه من الكتاب ، ابتغاء فتنة الناس وصرفهم عن الهدى والحق ، وابتغاء تأويله حسبما يريدون دون اخذ عمن جاء به ونزل عليه ، وهذا التنبيه منه جل لطفه تحذيراً لنا من ان يفتننا المبطلون ، ويحيد بنا عن الحق الزائغون ، وما حذرنا عن اولئك الفاتنين إلا ونصب لنا ادلة على تأويل الكتاب يفصلون بين محكمه ومتشابهه ، ويهدون الناس الى المحكم ويريدون بهم الهداية والسعادة .

قد يقال إن قوله تعالى ـ والراسخون فى العلم ـ ابتداء جملة والخبر قوله بعد هذا ـ يقولون آمنا به ـ فلا يكون عطفاً على لفظ الجلالة ، وعليه فيختص علم التأويل به جل علمه ، ولا يشاركه فيه أحد من البشر .

غير أني اقول : ان اجتهدنا ان نصرف الآية عما دلت عليه من وجود العلماء بالتأويل من عباده فلا نستطيع ان ندافع ما يلزم به العقل من وجوب الوجود لمثل هؤلاء العلماء ، وذلك لان هذه الآية صرحت بان الكتاب مشتمل على المحكم والمتشابه

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

وان في الناس زائغين يريدون اتبـاع المتشابه للاضلال والفتنة ويريدون التأويل حسبما يهوون ، فاذا لم يكن هنالك علماء بالتأويل يعرفون المحكم منه ويصرفون الناس اليه ابتغاء هدايتهم واخراجهم من الضلالة فلا يبقى اذن غير ذوي الضلالة في الناس ، فاين حجته البالغة ، واين هدايته للنجدين ، واين من يدل الناس على ضلالة اولئك الزائغة قلوبهم ، واين من يصرفهم عن اتبـاع اولئك الضالين .

فالآية لا صارف لها عما اشارت اليه من انّ الراسخين في العـلم هم من علماء التأويل على ان الـكتاب نفسه في غـير هذه الآية اخبرنا عن وجود العلماء بالكتاب كما في قوله : ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء . فالرسول (ص) خبير بجميع ما نزل عليه وصدع به

وكما في قوله تعالى : عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً إلا من ارتضى من رسول ، واذا لم يكن سيد الرسل وخاتمهم مرتضى لله تعالى في اظهاره على غيبه فمن المرتضى سواه ، وان الاظهار على غيبه أعلى شأناً وأوسع دائرة من اظهاره على علم الكتاب وحده .

وكما في قوله تعالى : ولا يحيطون بشيء من علمه إلا

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

عما شاء . وما علق الاحاطة على المشيئة إلا وقد شاء ، الى غير هذه من آي الكتاب .

نعم انما يكون ذلك الظهور على الغيب والاحاطة بالعلم منحة منه جل لطفه ، فلا يكون ذلك في الانبياء والأوصياء ذاتيا وهذا بخلاف علمه تقدس علمه فان علمه سبحانه عين ذاته ، فالفرق بين العلمين ظاهر فاذا كان رسولنا الامين (ص) ظهيراً على الغيب ، عليما بما نزل عليه ، محيطاً بشيء من علمه ، فهل انتهى اليه ذلك ولم يستودعه احداً من امته ، وبقي ذلك العلم والغيب مكنوناً ، وعلم الكتاب مخزوناً لا يعلمها بشر غيره ، ويبقى اهل الزيغ والضلال على اضلالهم واغوائهم . فاذا كان في عهد الدليل المرشد صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله منهم فئة موجودة . فبالاحرى ان يكونوا من بعده اكثر نفراً وعدداً . وهل يصح في العقل والدين ان يبقى ارباب الزيغ والضلالة رافعين أعلام الغواية ولا هادي ولا مصلح . ولا عالم بالكتاب ولا مرشد . يدلون الناس على الهدى والرشاد . ويرشدونهم الى ضلالة أئمة الاضلال فالخلف عن الرسول (ص) الحامل لعلمه وهداه لا بد منه في الامة .

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

نعم ان الجدير بالناصح المصلح الاكبر سيد الرسل (ص) ان يدل الامة على أولئك الائمة ادلة الرشاد فانه ادرى العالم بمن يحمل علمه واعرف الناس بمن انتهى اليه الهدى والدلالة ومن ثم قال : مشيراً اليهم :

﴿ المكتبة التخصصية للرد على الوهابية ﴾

وعترتي اهل بيتي

فلا مندوحة اذن عن هذا الخليفة الثاني من الثقلين في النيابة عن صاحب الرسالة (ص) لأن للرسول صلوات الله عليه وعلى آله وظائف جمة ينهض باعبائها ، فهو نبي مشرّع ؛ واداري مطبق ومنفذ ، وقاض يفصل الخصومات ، وسياسي يعقد المعاهدات ، وقائد محنك باسل ، ومعلم مرشد هاد ، الى غير ذلك مما يحتاج اليه فى التبليغ والتعليم والحكم لأن المسؤولية عليه خاصة من كل ناحية .

هذا فى ايام حياته واما بعد وفاته فلا غنى للناس عن ذلك الحاكم الاداري ، والعالم المرشد ، والقاضي الفاصل ، والقائد المحنك ، والسياسي الخبير ، وما عدا هذا مما لا بد منه في الزعيم الجامع للناس ، غير ان التشريع من صفات النبوة خاصة ، ولئن أخبر (ص) عن مماثلة علي عليه السلام له فى

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

المنزلة الشاملة لجميع ما اشرنا اليه فقد استثنى النبوة ، ومن ثم
لم يستثن شيئاً من العلم فى قوله : انا مدينة العلم وعلي بابها .

فاذا كان الخليفة عن الرسول (ص) لا غنى عنه بتاتا
فمن هو الجدير بالنيابة عنه - أفمن يهدي الى الحق احق ان
يتبع امن لا يهدّى الا ان يهدى - لا ينبغي الريب في ان
الهادي بنفسه ، العالم بذاته من غير تعليم من الناس ، الذي
لا يخطئ ولا ينسى ولا يسهو ولا يغفل ، والذي انتهى اليه علم صاحب
الرسالة وصفاته هو الحقيق بتلك النيابة ، والجدير بهاتيك
الخلافة .

وما اختار الرسول الحكيم اهل بيته للخلافة عنه من
قبل نفسه وانما كان بامر من الله تعالى لعلمه سبحانه بانهم الذين
يتقمصون بتلك الصفات ، ويقدرون على النهوض بهاتيك
الاعباء ، ومن ثم اشار (ص) الى ان الهداية بالتمسك بهم ،
والضلال بالمخالفة لهم ، ولو كانوا امثال الناس فى هاتيك الخصال
- وانت تعلم حال الناس من الخطأ والصواب ، والنسيان
والذكر ، والغفلة والالتفات ، والسهو والانتباه - لما
كانت لهم الخلافة دون الامة ، ولكان الايصاء اليهم بالامر

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

ترجيحاً بلا مرجح . وهو قبيح عند ارباب العقول ، فكيف يفعله المرسلون .

على ان الكتاب الحكيم محتاج الى المؤول والمفسر لما صرح به نفسه من اشتماله على المحكم والمتشابه ، وان ارباب الزيغ يتبعون متشابهه دون محكمه ، ولولا ما يخفى على سواد الناس من الفرق بين المحكم والمتشابه لما انتهز ارباب الضلالة الفرصة لفتنة الناس باتباع المتشابه ، فاذا لم يكن هناك مؤولون يكشفون للناس ما خفي عليهم من الفرق بين القسمين لكان لأولئك الزائغين في تأويلهم شبهة يرتطم بها الناس بعضهم ببعض ويخفى على ضعفاء البصائر الجواب عنها ، على ان ذلك التأويل الزائف ما زال متبعاً عند قوم حتى الساعة ، وذلك لانهم تركوا في تأويل القرآن اهل التأويل الذين نص عليهم الرسول (ص) ومن اين جاءت شبهة القول بالتجسيم ، وشبهة القول بالجبر ، إلا من هاتيك الآيات المتشابهة ، وما كان تصريح اهل البيت ببطلان هاتين الشبهتين واشباههما وهم المرجع في التأويل وما كان حكم العقل بفسادهما ، وهو الحكم الفاصل في المخاصمات ينفع في اقناع اولئك القوم في العدول عن هاتين الشبهتين ،

﴿ المكتبة التخصصية للرد على الوهابية ﴾

وما ذاك إلا لأن لهم من متشابه الكتاب مفزعا يرجعون اليه ، وان اوضحه المحكم .

ولو لم ينص الكتاب الاقدس على احتياجه الى المؤولين الراسخ علمهم لكان من صمته دلالة بينة على احتياجه الى المفسر الناطق ، ولو كان فى استغناء عن ذلك المؤول الناطق لاجمع الناس على مدلوله ، واطبقت الامة على منطوقه ، ولم تصبح في تأويله شيعا ومذاهب ، وفرقا وطرائق ، ولما بلغت تلك الفرق الى ما يزيد على السبعين ، وكل فرقة تزعم أن دليلها الكتاب ، وهو الناطق بحجتها ، والمصباح لهدايتها ، وتستشهد على ما تزعم بآيات منه تؤولها حسبما ترغب وتهوى .

فاذا لم يكن للكتاب العزيز مرجع خاص في معرفة تنزيله راسخ العلم في تأويله ، فمن يكون الفيصل بين هذه الفرق المختلفة ، والحكم بين أولئك الخصوم المتنازعة ، ليردها الى الحق المحض ، ويوردها المنهل الصفو ، فانه لا يسوغ ان يكون فى الامة ذلك الاختلاف الجم من دون مرجع منصوب لايضاح الحق ، وكيف يسوغ هذا والكتاب واحد والنبي واحد والشريعة واحدة .

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

وليس بقاء هاتيك التأويلات الباطلة ، والفرق المتخالفة حتى اليوم وهناً في اولئك الأولين الراسخ علمهم ، وطعناً فيهم بالتقصير أو القصور عن ازاحة الشبه الفاسدة ، بل ان الناس انفسهم اعرضوا عن اولئك العلماء الهداة وأبوا ان يسمعوا لهم حجة ، ويصغوا منهم الى قول ، وما ذنب اولئك الادلاء اذا سلك الناس سبيلا غير سبيلهم ، مع دلالة المصلح الاكبر عليهم ، فما كان تفرق الناس عنهم ، واعتمادهم على آرائهم وأهوائهم ، وان أوقعتهم في مهاوي العطب ، وصيرتهم طرائق قدداً ، إلا بما اختاروه لانفسهم ، وما هم بضائرين إلا انفسهم .

ولو اهمل الرسول (ص) الاشارة والارشاد الى صاحب التأويل ، لساغ أن يزعم كل ناعق بضلالة انه الراسخ العلم وصاحب التأويل ، ولقد زعم بعضهم انه ممن انتهى اليه التأويل فوقع واوقع الناس في المهالك ، لاستقلاله بالتأويل دون اهل التأويل ، ولو كان أولئك الأولون جميعاً من اهله لما اختلفوا فيه ذلك الاختلاف الذي يكشف عن جهلهم بالحقيقة وبعدهم عن الصواب ، ومع تبين هذه الحال لهم استقاموا على

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

ذلك الاختلاف والمخالفة ، واستمروا على مجانبة ذلك العالم بالتأويل .

قال الرسول (ص) ارشاداً الى الخليفـــة الثاني : (وعترتي اهل بيتي) فابان صلوات الله عليه وعلى آله من هو المعني بالعترة بقوله : اهل بيتي ، فاغنانا بفضل بيانه عن الخوض في المقصود من العترة .

غير ان الامر كله في انـه من المقصود باهل البيت، لأن الناس على اختلاف في ذلك ، فبين من ذهب الى ان اهل البيت نساؤه والهاشميون عامـة ، و بين من ذهب الى انهم بنو هاشم خاصة دون النساء ، وبين من ذهب الى انهم رهط خاص من بني هاشم ، وهم الذين جللهم بكسائه ، وقال اللهم هؤلاء اهل بيتي ، وذلك عندما نزل عليه قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وهم علي وفاطمة وابناهما عليهم السلام ، وهذا الخلاف جار في كل آية ورواية جاء فيها ذكر لاهل البيت عليهم السلام ، سوى انه يمكن ان يقال بان الزهراء عليها السلام غير مقصودة من اهل البيت ههنا ، وذلك فيما اذا فهمنا من الحديث النص على

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

الخلافة والامامة .

ولعلنا نهتدي الى المعني من اهل اليت بعينه ، ونعرفه بشخصه دون ما تعمق في الاستنباط ، أو تكلف فى سلوك السبيل اليه ، فنقول : إن الرسول (ص) اراد بهذا الحديث ان ينصب علماً لهداية الامة وارشادها ، وعالماً يدلها على تأويل الكتاب حسب نزوله ، واماماً يجمعها على الخير والهدى ، ويصدها عن الشر والضلال ، واين نساؤه وعامة الهاشميين من هذه الملكات القدسية التي لا تكون إلا للانبياء واوصيائهم عليهم السلام، فانا نرى النساء وبني هاشم على غير ما يراد من هذه المنزلة العظمى ؛ فلا بد ان يريد من اهل البيت رهطاً لهم الكفاية والقدرة على النهوض بتلك الاعباء الباهظة ، ولا بد ان يكون ذلك الرهط معلوما لديه ولدى النـاس ، ولو كان مجهولا للامة لم تنفع الاشارة الاجمالية اليه ، ولم تخرج الامة بها من الضلالة . لان الامة تختلف عندئذ فى تعيين أولئك الرهط . لا سيما اذا ادعاها خلق كثير منهم . وزعم كل واحد انه الخلف دون سواه . وقـد اختلف النـاس وأخذوا يمنـة ويسرة مع تلويح الرسول (ص) وتصريحه بذلك الخلف . فكيف

﴿ المكتبة التخصصية للرد على الوهابية ﴾

لولم يفعل ، نعم لولم يفعل لقامت الحجة من الناس عليه ، ولكنه حين فعل قامت الحجة منه عليهم .

ولو كانت اشارة الرسول (ص) الى الخلف من بعده اشارة اجمالية من دون تعيين لنفر خاص لما كان ثمة دافع عن التنافس ، أو رادع عن دعوى العلم بالكتاب ، ومن يكون الحكم عند ذاك بين الخصوم في دعوى العلم والخلافة . وما المرغم لأولئك الخصوم على الخضوع لشخص بعينه من دون نص وتعيين من صاحب الرسالة (ص) فان الناس جاهروا بالجحد لأولئك المنصوص عليهم مع تظافر النصوص ، وتصديق آثارهم لها ، فكيف لو اهمل الرسول أو اجمل ، أولم يكن أثر يشفع للخبر ،

إن الناس لا بد ان تعرف في عهد الرسول (ص) من هم اهل البيت ، ولا بدّ أن يكون الحديث نفسه في عهد الرسول وهذا العهد دالا عليهم دلالة واضحة ، ومرشداً اليهم ارشاداً لا لبس فيه ولا تعمية ، وإلا لما صلح هذا الحديث لان يكون من المصلح الاكبر حجة على الأمة ، يقطع منهم العذر والحجة .

إن الحديث الشريف نفسه حين عبر عن العترة بالثقل وقرنه بالكتاب دلنا على ان هذا الخليفة الثاني رفيع الشأن ،

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

ثقيل الميزان ، عليم بما في القرآن ، راسخ العلم لا يعتري علمه شك ولا ارتياب ، معصوم من الخطايا والذنوب ، منزه عن النقائص والعيوب ، به الهدى من الضلال ، والانتشال من الجهل ، شأن عديله وقرينه الكتاب ، كما عرفته وستعرفه ان شاء الله تعالى ، واين من هذه الصفات نساؤه وعامة الهاشميين .

ولو كان هذا الخليفة الثاني وعديل القرآن لا يتصف بجميع تلك الصفات ، أو يتصف بها طوراً وطوراً ، لما تركه الرسول خليفة عنه هاديا من الضلالة وقرينا للكتاب الحاوي لهاتيك الخصال .

أو كان غير قدير على تأدية وظائف الرسول التي لا بد منها للخليفة ، والتي لا غنى للناس عنها لما كانت الهداية به دائماً والخروج به من الضلالة ابداً ، كما وصفه بذلك الرسول الصادق الامين ، وكما هو شأن عديله الكتاب .

ومن يا ترى من بيت الرسالة يتصف بتلك الملكة القدسية التي لا تكون إلا في افذاذ من البشر اختارهم الخبير تعالى للرسالة أو الوصاية ، اترى يصلح لها غير المرتضى وولديه عليهم السلام

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

ان كانت تلك الصفات مجتمعة في احد فلا تعدو الوصي والسبطين وان كانت العصمة بعد الرسول موجودة في بشر فلا تتخطى علياً والحسنين . ولئن فاتت هذه السجايا التي لا بد منها في الوجود الوصي وابنيه فمن يا ترى يكن لها من اهل البيت ، ومن هم اعلم منهم وادرى ، وارشد واهدى ، بل من هو على شأ كاتهم يجاريهم في الفضائل ، ويباريهم في العلوم والمعارف ، ويصلح للعصمة لو كانت ثمة عصمة .

ان فاتت هذه الصفات ابا الحسنين والحسنين فقد جاز على المرشد الاكبر (ص) ان يرشد الى معدوم الوجود ، أو يشير الى مستحيله ، فيكلف الناس معرفة ما لا يسعون ، ويطلب منهم ما لا يجدون .

فاهل البيت اذن في عهد صاحب الرسالة (ص) الذين يقصدهم هذا الحديث الشريف هم علي والسبطان فحسب ، حصراً وجدانياً ، وحكما عقلياً ، ليس فيه ارتياب . ولا دونه حجاب . وهذا الحصر والحكم برغمان المرء على الاعتراف بهذه الحقيقة في كل عهد وزمن . فكما فهم الناس في عهد خاتم الانبياء (ص) ان المراد من اهل البيت المرتضى ونجلاه نفهم هذا منه اليوم ،

﴿ المكتبة التخصصية للرد على الوهابية ﴾

ما دام الهدف الحق . والقصد معرفة الثقل الثاني .

ولا احسب ان هذا المفهوم من الحديث يخفى على احد بعد الروية والبصيرة ، والتجرد عن المرتكزات والتقليد في العقيدة .

ولو كان في بني هاشم من يبلغ شأو أمير المؤمنين وولديه في الفضائل والمعارف والعلوم ، لظهر امره ، وبان خبره ، وارشدتنا اليه الاخبار والآثار .

هذا ما استفدناه من الحديث نفسه . ولو اردنا ان نؤيد مدلوله بالآيات والروايات لكان لنا منهما متسع . ولكننا اردنا ان نكون نحن والحديث من دون أن نستعرض سواه في هذا المفاد .



﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابدا

كلمة ما اسلس بيانها ، واوضح مفادها ، اذ لا في تركيبها تعقيد ، ولا في مدلولها غموض .

دلتنا على ان الدليل بعد الرسول صلوات الله عليه وعلى آله الى الهدى والخروج من دياجر الضلالة كما كان في عهده . هو التمسك بالثقلين معا .

وهذا الارشاد من رسول الرحمة والرأفة يعم الامة جميعاً ، ويلفت صحابته الى ان الاستمرار على الهداية لا يكفي فيه ما استقوه من ينبوعه دون ان يتمسكوا بعده بهذين الخليفتين وينبه الاجيال الآتية من المسلمة الى ان الاسلام لا يكون منارا للهدى إلا بالتمسك بالثقلين ، فانهما رائد الحق ، وسلم النجاة واي امرئ لا يحتاج الى رائد في الوصول الى الحق والصدود عن الباطل ، ومن يؤمنه لو سلك السبيل وحده من غير دليل ورائد - والطريق شاسع - ان يقع في فلوات جرد حيث

﴿ المكتبة التخصصية للرد على الوهابية ﴾

لا ماء ولا كلأ ، وهناك العطب ، واي بصير يستغني عن السلم في الرقي الى معارج الحق الرفيعــة ، ومن يؤمنه ـ لو ارتقى بدونه ـ ان تكون المعارج ملتوية فلا يجد مستلماً ليديه وموطئاً لرجليه فتزل به القدم ، فالى اين ـ يا ترى ـ المهوى والمنقلب .

وهذه الكلمة كما ارشدتنا بدلالتها الى ان الهدى بعد الرسول (ص) بخليفتيه ، ارشدتنا الى استمرار ذلك الهدى ما دام انسان ، وما دام كتاب وعترة .

ونستفيد التأبيد الدائم لعدم الضلالة بهما من ـ لن ـ الدالة على النفي المؤبد ، ومن التصريح بالتأبيد بقوله ـ ابداً ـ فالهدى الابدي الذي لا يحول ولا يزول هو بالتمسك بهذين الثقلين ، وبعد ان دلنا نبي الرحمة والهدى على تلك الهداية كان لزاما علي أن اتبع دلالته ، فلا احيد عن الثقلين قيد انملة فأضل واهلك ، ولست مسؤولا بعد هذا التعيين منه (ص) عن غيرهما من الكتب والناس ، ما لم تكن قد اخذت عنهما متفقين ، واستندت اليهما مجتمعين ، فانه ادرى بمن يصلح للدلالة بعده ، ولا يهمني بعد هذه الوصية منه ما قيل ومن قال ، وهذا الموقف هو الجدير بكل مسلم ان يقفه مع الثقلين بعد ذلك النصح

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

والارشاد من رسول الاصلاح (ص).

غير ان المهم ان نعرف ما هو التمسك بالثقلين ، فان التمسك هو الغاية التي ينشدها الرسول (ص) من هذا الحديث كله

إن حقيقة التمسك هي الاعتصام ، وليس الغرض منه هنا القبض باليد ، بل التمسك بالشيء انما هو حسب ما يليق به ويتفق وشأنه . ولما كان الكتاب - كما علمت - مصدر الشريعة المحمدية ، وقاعدة النظم والاحكام ، وينبوع الفضائل والاخلاق ، ومفتاح العبر والعظات . وكانت العترة الكتاب الناطق ، الكاشف عن اسرار الكتاب الصامت ، والدليل على عظمة الاله الفاطر والمرشد الى واجب العبودية إزاء تلك العظمة ، والموئل في حياتنا الدينية والسياسية . كان التمسك بالثقلين الاخذ بما ارشدا اليه ، ودلا عليه ، واتباع ما امرا به ونهيا عنه ، فان خالف المرء سيرهما اجتيازاً ، أو تخلف عنهما نكوصاً ، اعتصاما برأيه أو اتباعا لغيره . لم يكن من المتمسكين بل كان من المنحرفين الزائغين .

«المكتبة التخصصية للرد على الوهابية»

هل هناك ثقل ثالث

وهناك امر لا بد لنا من النظر فيه والبحث عنه . بحث مستهدف للحق ، متطلب للحقيقة ، مصباحه الذي يسير على ضوئه ـ الدليل ـ وبه تستنير غياهب الشبه والشكوك ، وأي نبراس يجلو لنا دياجر الاوهام والهواجس اضوأ منه ، وهو انه هل هناك ثقل ثالث يلزمنا صحيح البرهان بالتمسك به والقبض عليه ، بحيث يكون ذلك الثقل على مثال الكتاب والعترة في الخلافة والاعتصام والعلم ، فمن تمسك به اتخذ الى الهدى سبيلا ، والى الفرار عن الضلال والردى طريقا .

زعم فئة من المسلمين ان لدينا ثقلا ثالثًا يجب التمسك به والاتباع له . ألا وهو ـ الاصحاب ـ ورووا في ذلك حديثا عن نبينا المرشد الاكبر (ص) زاعمين انه قال : اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم .

ولا بد لنا من تمحيص هذا الحديث لنكون على بصيرة

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

من أمره ومن موقفنا إزاء الاصحاب ، فانه ان صح سنده وتمت دلالته أوقعنا فى مأزق ضيق لا نجد ثغرة فيها المخرج من لوازمه ، ولعلنا نهتدي الى التوفيق بينه وبين حديث الثقلين .

لا أريد أن أتحدث إليك عن سند هذا الحديث وحاله فان الحديث عنه ذو شجون ، وانما ابحث عن الدلالة فان بها غنى وقناعة ، ويضطرني الحال الى ان اشير الى احوال بعض الاصحاب ، وانه هل لنا سبيل الى ان نجعلهم قدوة كالثقلين .

إن كلمة الاصحاب اطلقوها على من رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسمع حديثه ، سواء أكان مهاجريا أو انصاريا ، وانت على خبر بان الرسول (ص) فى بدء الاسلام اراد أن يبث روح الاسلام فى الناس ، وينشر تعاليمه الحية ، والناس لا تتقبلها ولا تقبل عليها اذا جاءتهم دفعة واحدة ، فان الحواجز دونها جمة ، فمن حسد الى بغضاء الى عداء الى جهل الى عصبية لدين الآباء الى ما شاكل هذه ، وانت ترى ان فى البعض من هذه حوائل دون الرضوخ للحق وان عرفته النفس وايقنت به ، ومن ثم كان تبليغه للاحكام والتعاليم نجوما شأن القرآن ونزوله ، لئلا تنفر الناس من هجومها عليهم مرة واحدة ، ويروها

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

عبئاً ثقيلا لا يطاق حمله ، وتلك سياسة إلهية كانت احد العوامل لنجاح الدعوة الاسلامية ، جرى فيها الرسول على سنة التدرج في النظام الكوني وسنة التطور في البشر ولا غرابة فهذا شأن الله تعالى في خلقه .

وكان من سياسته الرشيدة أن تقبل من كثير من الناس الاسلام ظاهراً وان ابطنوا الكفر ، فان طرد أمثال هؤلاء عن حظيرته تكثير لاعدائه وتقليل من أعوانه ، على ان المرجو من مثل هؤلاء ان يدخل الاسلام في قلوبهم ولو بعد حين ، كما تظاهروا به وساروا عليه ، وقد اخبر عن سرائر بعضهم القرآن العزيز بقوله : ومن اهل المدينه مردوا على النفاق ، فوجود المنافقين الذين يبطنون الكفر و يظهرون الاسلام في اصحاب النبي (ص) لا ارتياب فيه .

وما زالت منهم فئة مندسين في المسلمين حتى بعد عهد الرسول (ص) وقد خفيت حالهم على كثير من الناس في ايامهم وايامه والوحي ينزل عليه ، فكيف بعد ذلك العهد بقرون ، واذا علم امرهم مثل سلمان وحذيفة وعمار واضرابهم فليس كل الناس لديهم معرفة سرائرهم وما انطوت

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

عليه ضمائرهم .

فاذا كان في المسلمين ذلك اليوم من ابطن الكفر فكيف نقتدي بكل فرد منهم دون ان نثق بايمانه ، ونعرف صحة اسلامه ، وما تنفعه تلك الظاهرة الا في ادخاله في ربقة الاسلام وعدّه من المسلمين في الاحكام .

إن المنافق كافر وهو يود ان يرجع الناس الى الكفر ، ويسعى له جهده لو امكنته الفرص ، ومن الذي دحرج للرسول (ص) الدباب ليلة العقبة ، ومن الذي دعاه الى الصلاة في مسجدهم ليقتلوه ، ومن الذي قال : ليخرجن الاعز منها الاذل ، الى غير هذا من سعي المنافقين وكيدهم للاسلام ، هذا والنبي حي والوحي يأتيه ، فكيف حالهم مع الاسلام من بعده . أيصح المسلم ان يقتدي بمثل هؤلاء ويجعلهم أئمة في الهداية وكيف يستضاء بالمنافق وهو ظلام حالك لا نجم ثاقب .

وزد على هذا أن كثيراً من الصحابة كذبوا على الرسول (ص) ونسبوا اليه احاديث واقوالا لم ينبس منها ببنت شفة . واعمالا كان بريئاً منها ، وقد اخبر الرسول (ص) نفسه انه سوف يكثر عليه الكذابون ، واوعدهم بتبوء مقاعدهم من النار ،

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

وهل يأمرنا الرسول (ص) وهو الناصح الامين ان نتبع الكذبة الخونة اهل النار، وهل سبق فى شريعة سماوية ان أئمتها الهداة كانوا من اهل الضلال والنار والكذب على الله وعلى صاحب الشريعة، واحسبك تراه مستحيلا عقلا ووجدانا، ولا ادري كيف تستنكر من الشرائع السالفة ما ترتضيه لشريعتك الغراء وهي افضلها نبيا وامة .

وهناك شأن يحجم القلم عن التبسط فيه، وهو ما وقع من الخلاف بين الاصحاب والنبي (ص) بعد لم يدرج فى اكفانه، والسقيفة والخلاف فى الخلافة أول حدث جال فى الاسلام وبين الاصحاب، بايع فئة من الصحابة ابا بكر وانكمش آخرون . فبمن الاقتداء من هؤلاء . وما وجه تقديم بعضهم على بعض فى القدوة .

ودع عنك حادث السقيفة العظيم ومخالفة زمرة من الاصحاب لابي بكر وجماعته . وبلوغ سبيل الخلاف بين الفئتين الزبى . واستمراره الى اليوم . وانظر فى الحوادث بعد ذلك اليوم . واهمها حادثة الشورى واختلاف الناس فى الخليفة واستسلام بعضهم قهراً لمبايعة عثمان . وما انقضت برهة طويلة

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

من ايامه حتى انكروا الكثير من اعماله . فوجدوها فرصة للتأليب عليه واظهار ما ابطنوه من السخط على بيعته . وفي طليعة المؤلبين والمتآمرين عليه عائشة وصاحباها طلحة والزبير حتى ان ناساً من الصحابة نسب اليهم مباشرة قتله بعد ان اجمعوا على خلعه فقل لي بمن نقتدي فنهتدي من هاتين الفئتين المتخالفتين . والحز بين المتحاربين ، أبالقاتل ام بالمقتول ، وباللاعن أم بالملعون ، أم بكليهما ، وهل يمكن الاقتداء بهما معاً وهما على حرب ، أم نمحص عن فئة ثالثة قد اعتزلت الفريقين انجعلها القدوة بعد ان نعرض عن تينك الفئتين ، وهل في ذلك اليوم حزب منحاد ، ام ماذا نصنع .. ؟

ولا تنسى الايام والتأريخ أمر عثمان ، وما كان من شأن حصاره وقتله ، فقد كفره الاصحاب وقتلوه بعد خلعه وقد كان بزعم الكثير منهم انه امامهم قبل هذا اليوم ، فبأي اليومين نقتدي به ، وعلى أي الرأيين منهم نعمل .

واليك منهم ما كان مع امير المؤمنين المرتضى فقد اجمع الناس على بيعته ثم نكث الزبير وطلحة واخرجا معهما عائشة الى البصرة فكانت حادثة الجمل وانهراق تلك الدماء الكثيرة من المسلمين ،

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

فمن المسؤول عن هاتيك الدماء المسفوكة ، ومن الامام المقتدى به من ذينك العسكرين ، ولا محالة ان احد الفريقين عات ظلوم ، وفي عنقه ذاك الحدث الكبير والدماء المراقة ، وهل يجوز ان يكون الظالم اماماً نقتدي به ؛ والله تعالى يقول : لا ينال عهدي الظالمين ، وهل تكون هداية بمن اعتدى فأضل الناس واراق الدماء طلبا للرياسة والزعامة ؛ من دون ان يفعل ذلك عن شبهة أو دفاعا عن دين أو حرمة أو حريم .

والخطب الافضع ما كان من معاوية وابن العاص وحثالة من الناس نسبوا انفسهم الى الصحبة فخاضوا بحوراً من الدماء يوم صفين ، افنقتدي بامير المؤمنين أم باولئك القاسطين وهل يصح لنا اذا كان كل صحابي قدوة ان نحارب المرتضى اقتداءاً بمعاوية . ونحن فوق ذلك مهتدون ومعذورون عند الله تعالى لان قدوتنا من الاصحاب .

ولا تنس قارعة الطف الموجعة ، فقد كان في جيش ابن زياد سمرة بن جندب وقد اعتبره القوم من الصحابة ، افيجوز لنا ان نحارب الحسين ومن بحياله من الصحابة اقتداءاً بسمرة ، ومن الذي اخرج من عموم الحديث سمرة ومعاوية

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

وامثالهما ، وطلحة والزبير واشياعهما ، ومروان والوليد بن عقبة واشباههما ، ان كان الحديث صحيحاً ، يأمر باتباع كل من له صحبة . وما الفارق بين الهادي والضال منهم لندفع الضال ونركن الى الهادي وكل واحد منهم له فئة يركنون اليه ، ويصوبون أعماله و آراءه

انك لو سبرت سيرة الاصحاب بعد الرسول صلى الله عليه وآله الى يوم انقراضهم لما وجدت عصراً لم تتخالف فيه الصحابة ، بل ولم تتحارب و يكفر بعضهم بعضا ، ودونك اخبارهم فاسبرها ، وآثارهم فانظرها .

وما كان الخلاف بينهم في الزعامة والامامة فحسب ، بل اختلفوا في الرواية والفتيا عنه (ص) وفي السيرة والاخلاق وفي طرق الهداية والارشاد ، وفيما سوى هذا ، وهاتيك احوالهم تقرئك اياها كتب السيرة والترجمة والتأريخ .

ولو ضمف ايماننا بهاتيك الكتب لكفتنا عن سبر احوالهم آية الانقلاب ، واحاديث الذود عن الحوض ، واحاديث الافتراق ، وما ماثلها ، ومن كانت تلك حاله كيف يصلح للهدى والرشد .

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

هذا اذا نظرنا الى الاصحاب وسيرتهم فحسب ، واما لو نظرنا الى مواقفهم مع اهل البيت . الذين اذهب الله عنهم الرجس وامرنا بمودتهم والتمسك بهم . لايقنا بان القوم قد انستهم الاضغان والاحقاد ما لأهل البيت من حق وما لهم على الامة من فرض . فاين آية التطهير واين آية المودة واين سورة هل أتى . واين حديث السفينة . واين حديث باب حطة واين حديث الثقلين . واين حديث حربهم حربي وحربي حرب الله ، وسلمهم سلمي وسلمي سلم الله واين .. واين من ذلك العداء الذي نصبوه لهم ، والحرب التي شنوها عليهم فكأن هاتيك الآيات ما نزلت وهذه الاحاديث ما وردت إلا لمقاومة اهل البيت وحربهم والخلاف عليهم .

وما اصبح مذهب اهل البيت مستطيلا إلا بنفسه يخالفه الكثير من مذاهب الصحابة وآرائهم وجرى الخلف على سيرة أولئك السلف فالناس الذين امرهم الرسول بمتابعة الثقلين ساروا حتى الساعة على المخالفة والمعارضة .

بلى كان زمرة من الاصحاب لا يشك بايمانهم وهداهم واجتهادهم فى النصح والارشاد امثال سلمان وابي ذر والمقداد

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

وعمار وابن مسعود وحذيفة وخزيمة وجابر وابي أيوب وكثير سواهم ساروا على خطتهم ، ولا يرتاب ذو مسكة بان الاقتداء بمثل هؤلاء رشد واهتداء ، ولكن هؤلاء لم يقفوا مع أهل البيت موقف حرب وعداء ، ولا موقف انعزال وحياد ، وانما وقفوا معهم موقف اتباع وتمسك ، فهم تبع للثقلين وانصار للخليفتين ، فلا يكون الاقتداء بهم انحيازاً الى ثقل ثالث غير الكتاب والعترة .

واين هذا من الاقتداء بجميع الاصحاب وان كان المقتدى به من اهل النفاق والارتياب أو الكذب والخيانة ، فمن ههنا يتضح لك انه لا يمكن الاخذ بعموم هذا الحديث لكثرة من خرج عن عمومه .

ولو تسالمنا على صحة هذا الحديث واردنا ان نأخذ بعمومه فهل يريد النبي (ص) به أن يجعل من الصحابة ثقلا ثالثا في قبال الكتاب والعترة ، وكيف ينصب للامة اعلاما تتضارب ، وأئمة تتحارب ، وكل واحد منها يحارب الآخر خدمة للدين ونصرة للحق ، بل انما يريد ان يجعل من الصحابة قدوة صالحة للناس لانهم المثل الاعلى فى الاخلاق والفضيلة ، ونحن لا نرتاب بوجود من يصلح منهم لتلك المكانة السامية ، ولكنها في الصالح

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

لا الطالح ، وفي المؤمن لا المنافق ، وقد نصب لنا رسول الله صلى الله عليه وآله اماماً لا يشك كل مسلم بصلاحه وهداه، هو الكتاب والعترة ، وهما المحك للتمييز بين الاصحاب ، فمن سار على نهجهما القويم ، واخذ عنهما العلم والتعاليم ، فذلك القدوة المتبع دون سواه ممن اختلف معهما او خالفهما .

وجملة القول ان الحديث الاول يجعل الثقلين خليفتيه بعده ويجعل التمسك بهما وسيلة الهداية ، ومنه نعلم ان الاصحاب ان درجوا على سنن الثقلين فهم اهل للاتباع والاقتداء لا لأنهم ثقل ثالث، بل لانهم تمسكوا بالثقلين امتثالا لامر الرسول الناصح الامين (ص). واما ان خالفوا سيرهما ، واتبعوا غير نهجهما فلا سبيل الى اتباعهم ومجانبة الثقلين ، اذ ليس لنا برهان على الاقتداء بكل صحابي على أي حال وان خالف الكتاب وأهل البيت ولا يمكن الاخذ بعموم حديث الاصحاب ـ وإن صح ـ اذا كان يرجع بنا القهقري عن أتباع خطى الكتاب والعترة ، بل لابد لنا من طرحه لمخالفته لما انعقد اجماع اهل الاسلام على هدايته وهو الكتاب والعترة ، او حمله على الصحابة الابرار الذين جعلوا الثقلين لهم قدوة واماماً .

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

ويجوز ـ إن صح الحديث ـ أن يراد من الاصحاب أهل البيت خاصة ، لان أهل البيت من الاصحاب ، وليس الاصحاب كلهم من أهل البيت ، وليس في هذه الاستفادة بأس بعد ان كان الأخذ بعموم هذا الحديث مستحيلا لا يمكن المصير اليه ، وحمل هذا الحديث ـ ان صح ـ على بررة الصحابة أو على أهل البيت اجمل من طرحه والقائه .

فلابدع اذن لو قلنا : انه ليس هناك غير الثقلين قدوة ومتبع ، وكل من على وجه البسيطة يجب عليه التمسك بهما والاقتداء بهديهما ، ولافرق في ذلك بين الاصحاب وغيرهم من معتنقي دين الاسلام .

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

ألا وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض

إن رسالة خاتم الانبياء عليه و على آله السلام باقية مدى الزمن ، مستديمة عمر الدنيا ، فكتابه الكريم لامحالة باق ببقاء الدهر وبقاء البشر ، لا تبلي جدته تطاول السنين ، ولا ينسخه كتاب لانه معجزة رسالته الخالدة ، وحجته على العالم كله ، ومن أين نعرف صدق نبوته اليوم لولا الكتاب .

ولما كان الكتاب صامتا ، و كان أساس الشريعة الباقية وتبيانا لكل شيء وفيه ما يحتاج الى التأويل والابانة ، وجب أن يكون له قرين يصحبه طيلة بقائه ليكون ناطقاً بتأويله ، كاشفا عن غوامضه ، فاصلا بين المتشابه والمحكم من آياته ، مميزاً بين الناسخ والمنسوخ ، والخاص والعام ، وماسوى ذلك مما لا يستغني عن المؤول الناطق .

وهل ياترى يصح في ذلك المفسر أن يتأول برأيه دون أن يكون عالما بالتنزيل كما نزل به جبرئيل ، أو يكون عالما

﴿ المكتبة التخصصية للرد على الوهابية ﴾

ببعض وجاهلا ببعض ، فلابد اذن من أن يكون عالما بجميع تأويله على حسب تنزيله ، لئلا يتورط فى المهلكة اذا تأول بشيء يخالف نزوله .

وهل ياترى يجوز فيه أن يسهو وينسى ويخطىء ويزل ، فيقع ويوقع الناس في التحريف والتصحيف ومخالفة التنزيل ، فاذن لامندوحة من أن يكون ذلك المؤول العالم بجميع التنزيل معصوما من هذه العوارض التي لايسلم منها عامة البشر .

فبقاء الرسالة الاحمدية قاض ببقاء كتابه، وخلود الكتاب كفيل بوجود قرينه واستدامة وجوده، ذلك الوجود المقترن بهاتيك الصفات التي تكشف عن ملكته القدسية ، والتي تجعل منه انسانا كاملا بريئا من النقص ، كما هو شأن قرينه فبقاء الثقلين الى يوم القيامة لا محيد عنه مادامت رسالة المصطفى (ص) باقية ومادامت رحمة العالمين ومادام زمان ، وما بقي انسان ، وان لم يصرح الرسول (ص) نفسه بهذا البقاء والخلود ، فكيف وهو يهتف بذلك مصرحا به دون ماتورية او كناية

وما أشرنا اليه يجب ان يعرفه كل أحد من دون غور وتعمق فى الفكر ، فهذا ابن حجر فى الصواعق يقول بعد الآية

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

الرابعة مما نزل في فضل أهل البيت : إن الحث وقع على التمسك بالكتاب وبالسنة وبالعلماء بهما من أهل البيت ، ويستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة الى قيام الساعة .

هذا ما قاله ابن حجر ، وما يجب ان يقوله غيره بدلالة هذا الحديث الشريف ، وحكم العقل السليم ، ولا نريد ان نستنطق غيره من الاحاديث وان عاضدت هذا الحديث في مفاده لان الهدف من هذا البيان بيان ما يفيده هذا الحديث دون سواه

وهذه المقارنة بين الثقلين ودوامها على هذه المقارنة الى قيام الساعة ينبهنا الى امور جليلة ، نشير اليها في العناوين الآتية :ـ

﴿ المكتبة التخصصية للرد على الوهابية ﴾

من هم اهل البيت الباقون الى الحشر

دلّنا صدر هذا الحديث الشريف ـ كما سبق بيانه ـ على أن المقصود من أهل البيت على عهد صاحب الرسالة هو المرتضى والسبطان خاصـة ، ولكن قوله (ص) وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض دل على ان العترة باقيـة ما بقي الدهر وبقيت رسالته وبقي كتابه ، فمن يا ترى المعني من العترة .

ان الهاشميين بعد السبطين كثيرون ، ولاسيما من كان من ذريتهما ، فهل اراد الرسول (ص) باهل البيت جميع بني هاشم ، أو خصوص العلويين ، أو ثلة من العلويين خاصة .

إن كثيراً من الهاشميين والعلويين محتاجون الى التعليم والارشاد ، وكيف يكون المحتاج الى هذا قريننا القرآن الذي اشتمل على تبيان كل شيء ، القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، القرآن الباقي معجزة مدى الأبد فقرين القرآن لا بد أن يكون على شاكلته وناطقاً بما حواه من بيـان

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

فاذن لا بد من أن يكون البشير النذير عنى فئة خاصة من أهله ، عندهم علم الكتاب ، وهدى الامة ، لا سيما وقد جاء على بعض الروايات في ذيل هذا الحديث قوله : ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم . وانت ترى أن بني هاشم كالناس من البدء حتى الساعة في احتياجهم الى التعليم والهداية ، وليسوا باعلم من الناس في علم الكتاب ولا في سواه

فاذا كان الرسول (ص) يقصد من أهل البيت رهطاً خاصا ، فهل قصد أناسا تجهل الامة اعيانهم ، ولا تهتدي اليهم باشخاصهم ، أترى ان الله والرسول يكلفان الامة شططا ، ويحملانها على معرفة من لا تهتدي اليه ، من أين للامة الوصول الى مجهول الاسم والسمة ، مجهول المكان والجهة ، لأن بني هاشم انتشروا في الارض فلا يخلو منهم قطر ومصر ، ولا صقع وناحية

فلابد أن يكون الرسول أراد رهطا من قومه معروفة اسماؤهم وسماتهم معلومة أوطانهم وجهاتهم لا ينكرهم الناس بعد التعريف ولا يخفى حالهم بعد الاشارة والتوصيف

فمن هو المتقمص بتلك الصفات ، والمعروفة حاله عند الناس ، غير التسعة من أولاد الحسين ، الائمة المعروفين من علي

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

ابن الحسين الى المهدي ابن الحسن العسكري الغائب المنتظر عليهم السلام جميعا .

إن هؤلاء التسعة بعد المرتضى والحسنين ينحصر فيهم القصد من أهل البيت انحصاراً وجدانيا ، وحكما عقليا ، كما كان في آبائهم ، وذلك لان الرسول انما أشار الى فئة موجودة متسلسلة يدفعها الواحد منهم الى الآخر لئلا يخلو عصر من الثقل الثاني ، وتلك الفئة عالمة بالكتاب لئلا يخلو عصره من قرين له منهم عالم به ، ولئلا تخلو الامة يوماً ما من هاد لا يضل من تمسك به ، معصومة من الخطأ والزلل ، نزيهة عن النقص والعيب بريئة من الاهواء الضالة ، لئلا يحصل من اقوالهم واعمالهم فساد ، وقد أرادهم الله للاصلاح ، وليس في بني هاشم رهط اشتملوا على هذه الصفات غير هؤلاء التسعة .

وهؤلاء هم الذين صرحت الاحاديث عن الرسول(ص) باسمائهم وسماتهم ، ولو عنى الرسول باهل البيت أحداً غيرهم لبان اثره ، وانتشر خبره ، وظهر امره ، ولوجب على الرسول النص عليه والاعلام منه ، وما ادعى النص عليه بالاسم والصفة غيرهم من العلويين ولو ادعى ذلك المقام احد من الهاشميين سواهم فلا

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

تقوم له الحجة ، ولا يجب التصديق بدعواه ، من دون أن يأتي عليه نص ، أو يكون لعلمه ظهور ، ولفضائله ميزة ، وهل شاهدت الامة لغيرهم من الهاشميين من بعد الحسنين الى اليوم سلسلة كان لها من الفضائل والمعارف والعلوم ما كان لهم ، وهل كان لغيرهم من الآثار في التفسير والعلم والاخلاق ما ماثل آثارهم

فلاريب اذن بعد امعان الفكر والروية في ان هذا الحديث الشريف لا يريد غير الائمة الاثنى عشر من أهل البيت ، وهم الذين دلت الاخبار والآثار على مالهم من علم وفضل ومعرفة وصلاح لا يدانيهم فيها بشر بعد الرسول (ص) وهم الذين ورثوا العلم والفضيلة عن الرسول عن الوحي عن الفيض الاعلى ، وهم الذين بقيت سلسلتهم محفوظة بوجود المهدي المنتظر ، وهم الذين يصدق عليهم الى اليوم انهم العترة قرناء الكتاب ، وان الثقلين بوجود غائبهم ما زالا باقيين

هذا ما اهتديت اليه من معنى الحديث امليه عليك ، واحسب انه جلي لا غبار عليه .

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

افصح هذا الحديث بان في كل عصر عالما بالكتاب من اهل البيت حسبما نزل به الروح الامين من رب العالمين، وصدع به رسول الرحمة والهدى، فمن هو عالمهم اليوم بالكتاب.

لا بد أن يكون ذلك العالم المنصوب للتأويل الصحيح معلوم الاسم والنسب والنعت، لانه مرجع العالم كله في تفسير الكتاب وهدى الامة، وكيف ينصب الرسول الناصح لامته علما لهم في الهداية وتأويل الكتاب، ويخفي عليهم شمائله وحليته، وكيف يفرضه الله تعالى حجة عليهم ويسألهم الرسول (ص) عن معرفته والتمسك به، ولم يجعلا امارة على تعيينه، ودلالة على تشخيصه ان الله لا يكلف نفساً غير ما وسعت، ولا يسأل الرسول الامة عمّا لا يعلمون وعما لا يقدرون ان يعلموه عادة، فاذا جاز أن يكلف الله العباد تصديق نبي مجهول في ذاته وصفاته جاز أن يكلفهم معرفة امام هذا مجهول الخصال والذات. ولا يكفي أن يكون ذلك العالم معلوماً فحسب، بل لا بد

﴿ المكتبة التخصصية للرد على الوهابية ﴾

أن يكون أيضا حيا موجوداً ، لان الناس في كل عصر تحتاج الى المرجع فى التأويل والموئل في الهداية لتستعلم منه حاجتها ويحل ما اشكل عليها ، لان الحوادث المشكلة المحتاجة الى الحل وازاحة الشبهة تتجدد في كل زمان ، كما تحتاج فى كل وقت الى المرشد الهادى ولو رجعت الناس الى العالم المنصوب للتأويل والهدى لحملها على المحجة البيضاء والصراط السوي ، ولم يتركها تحيد عن الشريعة الناطق بها الكتاب والسنة قيد أنملة

ولا يغنى الرجوع الى الميت فى كل شيء من التأويل اذ قد يأتى في الحوادث من الشبه مالم يسبق لها ذكر أو نظير ومن الاحكام مالم يشر اليه الائمة السابقون ، ومن شبه الامم المخالفة مالا حل له من الماضين ، فمن يكون المرجع فى ذلك وفي هدى الناس ان زاغت اذا لم يكن الخلف حياً .

ولو اغنى الماضون من الهداة لاغنى ذلك في الانبياء ، أو أغنى منهم أهل الشرائع خاصة ، ولماذا بلغوا مائة واربعة وعشرين ألفاً ، ولماذا فرض الرسول اماماً لكل زمان وأوجب على الامة معرفته فقال (ص) من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية ، ففهمنا من هذا الحديث ان لكل زمان إماماً

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

كما فهمنا ذلك من الكتاب الكريم حيث قال : يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم ، لان الخطاب لم يكن لقوم بخصوصهم فاذا عم أهل الاسلام كافة ، وابناء الاجيال عامة ، عرفنا ان لكل زمان والياً يسألنا الله عن طاعته كما يسألنا عن طاعة نفسه تعالى وطاعة رسوله (ص)، فكيف ترى شأن اولئك من الهدى والرشد والصلاح عند ما قرن طاعتهم بطاعته وطاعة الرسول (ص)

فاذا وجب ان يكون المؤول الهادي وقرين الكتاب من العترة حياً موجودا فى هذا العصر ، ومعلوما لدى الامة كافة في ذاته وصفاته فمن هو اذا لم يكن ابن الحسن العسكري ، فانه لا يوجد اليوم منهم أحد معلوم الذات والصفات ، يحمل تلك الملكة القدسية وذلك العلم الالهي الجم ويستطيع أن يقود الامة الى الهدى ويحملها على اتباع الكتاب وتأويله كما جاء به الرسول « ص » فاذا لم يكن ذلك ابن الحسن عليه السلام فقد خلت الارض اليوم من الثقل الثاني ، وخلوها منه مستحيل عقلا ونقلا .

فهذا الحديث يرغمنا على الاعتقاد بوجود عالم منهم بالكتاب يجب على الامة معرفته للتمسك به والانقياد لاوامره

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

ونواهيه ، فاذا لم يكن ظاهراً مشهوراً،فلابد ان يكون غائبا مستورا، نعم يجب ان يكون معلوم الاسم والنسب والصفة ، وليس اليوم فيهم احد كذلك غيره فاذا لم يكن أحد فى العترة سواه على تلك النعوت فلا مندوحة من القول بان المهدي مولود موجود، وانه هو امام الامة وعالمها ، وأحد العترة التي يجب التمسك بها ، والجامع لصفات الكمال كلها فى هذا العصر ، المنزه عن خصال النقص جميعها ، المعبر عنه بالانسان الكامل .

ولو كان غير مولود ، اوموجوداً غير معلوم لكان الحديث متخلفا عن اعلامه ببقاء العترة الى يوم الساعة ، العترة العليمة بالقرآن ، الهادية للامة الى انتهاء الزمان المعروفة اسماءاً وصفات .

ولو ادعى أحد من الهاشميين سواه ذلك العلم وتلك الخلافة اللذين دل عليهما هذا الحديث الشريف لوجب علينا أن ننظر في صحة تلك الدعوى ، ونختبره فى علمه ، ونمتحنه في مقدرته من اقامة الحجة واظهار الكرامة ، ولكن العصر من يوم وفاة الحسن العسكري الى اليوم خال من ذلك المدعي غير الغائب المنتظر .

﴿ المكتبة التخصصية للرد على الوهابية ﴾

وان وجوده بغير مخاصم لدعواه يقضي باستقامة وجوده ، لانه لو مات لوجب ان تنتقل تلك المنزلة الكبرى الى غيره ، ومن هو ذلك الغير لو كان .

وجملة القول ان الحديث الشريف يرغمنا على الاعتراف بوجود الخليفة الثاني من العترة فى هذا اليوم ، وليس أحد غير ابن الحسن لهذا المقام يوصف فيعرف .

غير انَ الذي يستنكره أو يستكبره قوم من شأن ولادته من قبل وحياته الساعة امور واهمها امران .

الاول . انه كيف يعيش انسان هذا العمر الطويل ، فقد ولد ـ ان كان مولودا ـ باتفاق ارباب الحديث والفضائل والتأريخ عام ٢٥٥ هجرية ، فيكون عمره اليوم فى عام (١٣٦٤) ١١٠٩ من الاعوام .

الثاني . مافائدة امام وعالم نصبه الرسول (ص) لتفسير الكتاب وتعليم الناس وهدايتهم وهو محجوب عنهم ، لا يستفيدون من وجوده ، وكيف يحتج الله على الامة بامام لا يصلون اليه فيأخذون عنه ويهتدون به .

إن الجواب عن هذه المباحث تستطردها كتب الكلام

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

في مباحث الامامة ، بل اعدت لهذا الغرض كتب خاصة امثال غيبة الشيخ الطوسي طاب ثراه ، وقد اجبنا عن ذلك في رسالتنا ـ الشيعة والامامة ـ ونشير الآن ايضا الى الجواب لئلا تخلو هذه الرسالة الوجيزة من هذه الفائدة الجليلة فنقول :

أما الجواب عن الاول فشاهدنا عليه الكتاب الكريم ، فأين انت عن نوح عليه السلام فقد لبث في قومه يدعوهم الفا إلا خمسين سنة ، فكم لبث قبلها ، وكم لبث بعدها ، فان المهدي المنتظر حتى اليــــوم لم يبلغ عمر نوح ، وأين أنت عن ادريس وعيسى عليهما السلام وحياتهما اليوم ، فقد رفعا اليـه من دون موت، وكفى دليلا على بقاء الانسان العمر الاطول بقاء الخضر عليه السلام وكان معاصراً لموسى عليه السلام ، واذا جاز لحكمة ان يطيل الله تعالى أعمار أنبيائه عليهم السلام فلماذا لا يجوز ذلك في أوصيائهم وخلفائهم، وما اكثر الشواهــــد في التاريخ ممن طال بهم العمر ، غير اننا استغنينا عنهم بمن لا ريب في استطالة عمره وبقائه لان القرآن الكريم قد ذكره ، وهو قطعي الصدور .

وأما الجواب عن الثاني فجدير بان نحيله الى الله تعالى ، لان الايراد أشبه بان يكون عليه جل شأنه . فان لابن الحسن

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

عليها السلام امثالا من الانبياء والرسل قتلتهم الناس من دون ان يعملوا بدعوتهم، ويهتدوا بهداهم، فلماذا بعثهم الله جل شأنه ومايجاب به عن امر الانبياء فهوجوابنا عن شأن الامام المحجوب

فانك ان قلت انه ارسلهم لطفا بالعباد واقامة للحجة عليهم، وكان التقصير في عدم الاستفادة بهم من الناس انفسهم فذاك جوابنا بعينه، ونزيده إيضاحا.

وهو ان الواجب فى النبوة والامامة امور ثلاثة، أن يخلق الله تعالى لطفاً بعباده رجلا له الكفاية والقدرة على النهوض بعبء النبوة أو الامامة، وان يقبل ذلك الرجل تلك المسؤولية العظمى، وان يطيع الناس ذلك الرجل المبعوث أو المنصوب لذلك الشأن الخطير بعد اقامة المعجزة والبرهان.

فما كان من الله ومن الامام فقد وقع، واما الناس فلم يكن منهم ما وجب، شأنهم مع آبائه، بل قضوا عليهم قتلا وسما فوق الخلاف والعصيان، وعندما قضى المعتمد العباسي على أبيه الحسن العسكري عليه السلام بالسم عام ٢٦٠ هجرية فتش عنه الغرف والبيوت ليقتله فهرب منه وغاب وهو ابن خمس، وقد وعد الله تعالى الناس على لسان نبيه صلى الله عليه وآله بأن يملأ به

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

الارض قسطا وعدلا بعد ماملئت ظلما وجورا ولابد ان يظهره للعباد براً بوعده فانه لايخلف الميعاد ، والله سبحانه اعلم بالوقت الملائم ولو كان يومه الموعود فيه ظهوره هذا اليوم او أمس اظهر فيه ، والله أمرهو بالغه

فالناس هم الذين فوتوا المنفعة من وجوده ظاهراً ، كما فوت الاوائل المنفعة من الرسل والانبياء ، وعسى ان يكون في وجوده مستورا فوائد جمة نجهلها اليوم ونعرفها غداً عند ظهوره فليس البأس اذن في غيابه الا من الناس .

وان كان معاصروه هم المسيئين في تغيبه الا ان استمرار الغيبة كان من اهل الازمنة اللاحقة ، وكيف يأمن من أهل هذه العصور أن يحاربوه لو ظهر ، والناس امثال الناس والعصور متشابهة ومالم يثق من الناصر كيف يظهر .

ومن يقدر أن يثبت ان أعوانه اليوم لو ظهر أكثر أو أقدر من اعدائه حتى يقوى بهم على محاربة اعدائه والتغلب عليهم واين أولياؤه من اعدائه عددا وعدة ، فان من يعترف بولادته وحياته اليوم كمثل الشعرة البيضـــاء في جلد الثور الاسود ، وكيف مثل هؤلاء يقهرون محاربيهم الا ان يشاء الله

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

فما دمنا لا نعرف الوقت الموافق فالاحرى ان نسكت ونوكل الامر اليه تعالى، منتظرين تعجيل الفرج به. عجل الله تعالى فرجه وفرجنا به.

ومن أين نعرف ان الناس تلبي دعوته بدون حرب وجهاد، ولم لا أجابت آباءه من قبل، والتاريخ - كما يقولون - يعيد نفسه.

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

المهدي ينهي الدنيا والرجعة

جاء من طرق الفريقين عن النبي (ص) أن الائمة من قريش ثم من بني هاشم ثم من ولد علي وفاطمة ، ثم انهم اثنا عشر ، ثم النص عليهم باسمائهم ، فيكون المهدي المنتظر آخرهم . فاذا ظهر عجل الله فرجه كان بوفاته قيام الساعة لقوله صلى الله عليه وآله في هذا الحديث : لن يفترقا حتى يردا علي الحوض واذا توفي و كانت الدنيا باقية فلا بد اذن من رجعة النبي (ص) والائمة عليهم السلام كلهم أو بعضهم الى أن تنتهي الدنيا ، لان الامامة و علم الكتاب اذا انحصرا بهؤلاء الاثني عشر ولم تنته الدنيا بموتهم فلا مناص لنا عن القول بالرجعة ، لاسيما والرجعة غير ممتنعة عقلا ولا نقلا ، بل هي جائزة عقلا صريحة نقلا ، فهي ممكنة فى ذاتها جائزة عليه تعالى . والممكن اذا وجدت علته إن وجد لامحالة

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

فاذا جازت الرجعة عليه تعالى وقام عليها البرهان العقلي والنقلي فاي بأس بالذهاب اليها ، والقول بها ، ونحن انما نستضيء بنـــور العقل ، ونهتدي بمصباح الدليل ، وان استبعاد بعضهم او انكارهم تهويس لا يقاوم الدليل ، واعتقاد البعض بعدم الرجعة من دون برهان لا يكون برهان العـــدم .



﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

أهل البيت معصومون

عندما التحق رسول الله صلى الله عليه وآله بالرفيق الاعلى بعد ما اكمل الدين اصبح الناس شيعا ومذاهب في احكام الدين وللسائل أن يسأل: أكان ذلك لان الرسول لم يحسن التبليغ فلم يؤد وظيفته؛ ام لان الناس لم يكن فيهم معصوم يأخذ عن النبي صلى الله عليه وآله أخذاً صحيحا كما نزل عليه وصدع به من دون نقص او زيادة في السماع والاداء فيحمله الى الناس كما اراده الله سبحانه، ام كان معصوم ولكن الناس انصرفوا عنه واعتمدوا على انفسهم، ولئن سلموا من العمد فلا يسلمون من الخطأ والسهو والنسيان في السماع او التأدية.

ان الله عز شأنه انما بعث النبي لهداية البشر واصلاحهم وتوحيدهم في الدين والشريعة «وما أرسلناك الا رحمة للعالمين» والنبي معصوم فلا يخطىء ولا ينسى ولا يقصر في التبليغ، فالاختلاف

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

اذن بعده اما لصفحهم عن المعصوم او لعدم وجود المعصوم .

ان تلك الغـاية النفيسة التي من اجلهـا بعث الله تعالى رسولنا والرسل من قبله تلزم بان يكون معصوم فى كل عصر لحمل الناس على الهدى ، وكفهم عن الضلال وتأدية ما صدع به والا لم يقع الغرض المطلوب بتمامه من وحدة الاحكام والـدين واجتماع الناس ، وهذا لطف والله جل لطفـه لايحبس لطفه ولا يمنع العباد هدايته «انا هديناه النجدين» ولا يحملهم على المخالفة بعد اقامة الدليل لهم ثم يعاقبهم على ذلك الخلاف وهو مسبب عن حبسه اللطف ، فلا مناص من ان يكون الناس هم الذين اختاروا الضلالة بمخالفة الخليفـة المعصوم ، لأن ذلك الافتراق والتشعب يستحيل ان يستند الى تقصير النبي صلى الله عليه وآله فى التبليغ والله تعالى أكمل الدين واتم النعمـة به (ص) قبل فراقه الدنيا ، او الى حبس الله لطفه عن العباد ، وهو اللطيف ، الرءوف ، الهادي الى سواء السبيل .

فوجود الهادى المعصوم لابد منه فى كل عصر ليتم به اللطف ويحصل به الغرض المقصود من الوحدة دينا واحكاما واجتماعا ولاتقوم الحجة على العباد بعد الرسول إلا به ، وان

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

هـذا الحديث الشريف يرشدنا الى ان ذلك المعصوم الواجب وجوده فى كل زمن هو من اهل البيت ، وذلك لان الكتاب العظيم « الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » لا يجوز عليه الغش والكذب والاضلال والخيانة فى هـدى البشر وارشادهم الى الحق ، وان اهل البيت بحكم هذا الحديث عديل القرآن وقرينه والملماء به ، فلو جازت عليهم هاتيك الرذائل من الغش والاضلال والكذب واضرابها لاختلفوا مع الكتاب وخالفوه ففارقوه ، وهذا لا يكون منهم ابداً لأنهم الملازمون الكتاب حتى قيام الساعة ؛ كما ينبيك عنه قوله : أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فما داموا والكتاب معا سلم الرشد ومنار الهدي كانوا بريئين عن مثل الاضلال والاغواء والكذب عمدًا وسهوا كما كان قرينهم الكتاب ، واذا كان ذلك غير جائز عليهم كانوا معصومين لامحالة شأن الكتاب الكريم ، والعصمة ملكة تمنع الانسان من ارتكاب الجرائم واقتراف المآثم ، وتحوطه عن غشيان الرذائل والنقائص عمدا وخطأ وسهوا وغفلة ونسيانا وهذا هو الحد الفاصل بينها وبين العدالة ، لان العدالة انما

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

تمنع عن اتيان الفحشاء والمنكر عمدا ولا تمنع عنها سهوا ونسيانا وخطأ وغفلة .

وإن إخبار الحديث عن استقامة اهل البيت على الهداية الى الحشر دليل على وجود تلك العصمة فى قرين الكتاب منهم فى كل عهد

فالحديث كما يرشد الى عصمة الكتاب يرشد الى عصمة رجاله وعلمائه واصحابه وقرنائه ، بمفاد واحد ومدلول ثابت فيهما معاً ، ولو ان اهل البيت لا يتفقون مع الكتاب فى العصمة ، وغير مأمونين من السهو والنسيان والغفلة والعصيان ، لجاز ان ينطقوا ولو احيانا بتأويل يخالف الحقيقة ويباين الحق ، وأين هذا من عدم الضلالة ابداً بالتمسك بهم ، وأين هو من اتفاقهم مع القرآن حتى آخر لحظة من الزمان .

فلو لم يكن لدينا دليل على عصمة اهل البيت غير هذا الحديث لكفى به شاهداً ودليلا

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

علمهم لدني

العلم اللدني ما كان من علام الغيوب سبحانه على نحو الالهام او الوحي ، فيحصل للنفس من لدن النفس لا من خارجها بتعلم واكتساب وجد واجتهاد ، وهذا الحديث يدلنا على ان علمهم بالهام من لدنه تعالى ، ونستفيد ذلك من وجوه

١ — أن الرسول (ص) كان يستقي علمه منه تعالى بالوحي وقد ترك اهل بيته خلفاءه على الامة كما هدانا الى ذلك هذا الحديث، والخليفة المنصوب يجب ان يكون مثالا لمن خلفه للهداية والاصلاح ، وحاكياً لخصاله وفعاله لاسيما والمخلف حكيم وبصير مأربه في التخليف صلاح الامة ، وانما اشار الى الخليفة بأمر من فاطر الخليقة ، العالم بضمائرهم وسرائرهم ، فلابد أن يكون علمه من نوع علم النبي لدنيا . وإذ دلّ الدليل على أن الوحي منحصر بالنبي فلابد أن يكون الهامياً

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

ولو كان أهل البيت على غير شاكلة الرسول «ص» في العلم والعرفان، والشمائل والفضائل.، لما صلحوا ان يخلفوه وينوبوا عنه في تعليم الامة، وتفسير الكتاب، وسياسة الناس على ما يفرضه الدين والقرآن، ولما كان التمسك بهم سبيل الرشد والهدى، والتخلف عنهم مدعاة للهوي والهلكة

٢ — أن القرآن نزل منه جل وعز وفيه من الآي ما تحتاج الى تأويل وكشف، فوجب أن يكون علم تأويله مستمداً منه تعالى، لان علم الناس يجمع بين الصواب والخطأ، ولو كان صواباً كله لكان واحداً لا اختلاف فيه، وما اكثر الاختلاف فيه كما تنظر وترى، وما ذاك الا لما فيه من شطط وغلط، فمن اخذ عن الناس العلم اخذ الصواب والخطأ، فاذا وجب أن يكون علم الكتاب كله صواباً وجب أن يكون من الله تعالى خاصة، من دون أن يكون منه ومن الناس، ولا من الناس دونه، وحين قرنهم الرسول (ص) بالكتاب علمنا أنهم العلماء الذين استمدوا علمهم الغمر من العلام تعالى منزل ذلك الكتاب

— اذا كان علم أهل البيت بتعلم من الناس كان الذي يعلمهم أجدر بخلافة الرسول وعلم الكتاب منهم

﴿ المكتبة التخصصية للرد على الوهابية ﴾

وكيف يرشد النبي (ص) الى أهل بيته في علم القرآن ومقارنتهم له وفي الأمة من هو أعلم منهم به وأهدى الى الصواب وعندما أشار (ص) الى أهل بيته خاصة دون الناس عرفنا انهم أعلم الناس بالكتاب ؛ فاذا كان علمهم صواباً أبداً وفوق مستوى علم الناس لزم أن يكون مستقاه من عالم فوق الناس ، ومن ثم جاء في بعض طرق الحديث : ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم

٤ — أن حصر الخلافة فيهم وفي الكتاب أنبأنا عن وحدتهما وانحصار علمه الصادق فيهم ، وهذا يدلنا على أن علمهم من يوم وفاة الرسول (ص) الى يوم الساعة واحد ، لا يعتريه تغيير ولا تبديل ، ولا زيادة ولا نقصان . وهل يستقيم علم في بيت واحد عمر الدنيا ، على اختلاف شعبه وفنونه ، وهو يسير على شاكلة واحدة ، لا يختلف نقصاً وزيادة ، وتباينا ومعارضة ، وذلك العلم مكتسب من الناس ، وهل شاهدت علماء توارثوا العلم وتناقلوه هذا العصر الاطول على اختلاف شعبه وفنونه ، من دون أن تحدث بين أوقاته فرجة خالية من عالم وكان ذلك العلم اكتسبوه بتعلم ، وحصلوه بجد ، وكيف

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

لايحصل هـذا العمرُ في سلسلتهم جاهل ، وكيف لاتختلف مراتبهم في مقدار مـا يعلمون ، وعلمهم من الصدور والسطور

فلابد من أن نعتقد بان هـذا العلم الساري على نهج واحد مستند الى علام الغيوب تعالى من دون أن يتوسط في تعليمه الناس ، لان مثله لايكون في علم الناس ابداً

٥ – كيف اعتمد الرسول « ص » على علم أهل بيته بالقرآن طول الابد ، وأمن أن لايكون فيه خطأ واغواء ، وشك وكـذب ، وتخاف عما في الكتاب الجامع لبيان كل شيء ، وما علمهم إلا من الناس وعن الناس أفيصح أن يخبر النبي الصادق « ص » عن استدامة العلم والعلماء في أهل بيته مدى الزمن على مثال واحد ، وان علمهم صواب لاخطأ فيه ، وهدى من غير تضليل ، ونصح من دون غش ، وصدق بلا كـذب ، واولئك العلماء من سائر البشر لاميزة لهم على الناس وعلمهم مأخوذ من الناس

إن مثل هؤلاء العلماء لايكونون كالناس أبداً ، ولا علمهم عن الناس بتاتاً بل ان العقل والوجدان والعادة أدلة على أن مثل هؤلاء فوق مستوى البشر الذى يقـع عليه البصر ، وان مثل هذا العلم الذى عندهم لا يكون إلا مستمداً من الفيض الاعلى ،

﴿ المكتبة التخصصية للرد على الوهابية ﴾

وان مثل هؤلاء العلماء لاتأتي بهم الظروف والأيام صدفة بل هم معنيون بالخلقة ومنح ذلك العلم ، منصوص عليهم منه عز شأنه بواسطة رسوله الامين صلى الله عليه وآله

هذا بعض مادلنا عليه هذا الحديث الكريم من علمهم من لدنه سبحانه لايرتشفون فراته من مياه الناس الآجنة ، وأين العلم المستقى من ينبوعه الفياض من العلم المستقى من ينابيع الناس

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

علماء بكل شيء

يفهمنا هذا الحديث الشريف ان اهل البيت علماء بجميع ما فى الكتاب لانهم قرناؤه فى الهدى ، فلو سئلوا عن حرف من الكتاب العزيز ولم يكن علمه عندهم لخرجوا عن مقارنته فى الهداية وتخلفوا عن معادلته فى الخلافة عن الرسول صلى الله عليه وآله بل يحملون الناس على الريبة والمروق بسبب الجهل بالكتاب عند السؤال عنه واين هذا من إخبار النبي (ص) بانهم منار الهدى عمر الدهر ، فلابد اذن من أن يكون علم الكتاب جميعه عندهم .

فاذا كانوا ـ بدلالة هذا الحديث ـ علماء بجميع مافي الفرقان الحكيم كانوا علماء بكل شيء ، لان الله جل ذكره يقول فى محكم كتابه : ما فرطنا فى الكتاب من شيء ، ويقول : ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

نعم انا نجهل هاتيك الجامعية الكبرى للكتاب، ونجهل كيفية علمهم به، وهذا الجهل بتلك الجامعية وتلك الكيفية لا يدعو الى الشك فيها

إن من الجهل ان ننكر صحة ما نجهل ، فنكون مصداقا لقولهم : المرء عدو ماجهل، ومن عدائه لما يجهل نكرانه له

إن القصور عن ادراك المنازل السامية فى العلم والعرفان لا يقتضي بانكارها ، بل يجب التسليم بها مادام الدليل قائما عليها عقلا و كتابا وسنة ، و مادام الوعاء صالحا لان يخزن ذلك العلم ومادام الناس في حاجة لامثال هؤلاء العلماء . نعلم يقينا من الآيات والروايات والآثار بأن مراتب اهل البيت في العلم والمعرفة والفضيلة سامية جداً ، لا يدانيهم فيها الناس، ولا يقترن بهم فيها أحد ، لأن ما جاء في نعت علومهم مثل قوله تعالى : ومن عنده علم الكتاب وقوله « ص » : انا مدينة العلم وعلي بابها ، وقوله « ص » : ولا تعلموهم فانهم اعلم منكم ، ومثل قول المرتضى عليه السلام : سلوني قبل أن تفقدوني ، وقوله : علمني رسول الله (ص) الف باب من العلم ينفتح لي من كل باب الف باب، وقوله وقد وضع يديه على صدره : هذا سفط العلم هذا لعاب رسول الله « ص »

﴿ المكتبة التخصصية للرد على الوهابية ﴾

وقوله وقد اشار الى صدره ان هاهنا علما جما لو اصبت له حملة ، وماضارع هذا مما يكثر تعداده يعلمنا بان علمهم الغمر مستمد من الفيض الاعلى ، فانظر هل لهذا البحر ساحل ، فاذا كان علمهم بهاتيك الصفة فهل يوجد عند الناس حتى يتعاموه منهم

على انك لو استقصيت بعض آثارهم ـ ان كنت جاهلا بها ـ لوجدت انهم مثال لهذا العلم فانهم ماسئلوا عن شيء إلا وجد السائل علم ما سأل عنه عندهم ، ولا ابتدأوا بالبيان عن أمر إلا أظهروا للناس ما لا يحتسبون ومالا يجدون علمه عند غيرهم ، فهذه الآثار وتلك الأخبار لاتدع مجالا للشك فى انهم حقا علماء بكل شيء حتى وان لم تصرح تلك الآثار والاخبار بسعة ذلك العلم ، فكيف وفي هذا الحديث الشريف دلالة وابانة على تلك السعة مشفوعا بتلك الاحاديث والآي الصريحة .

وقد ساقني التوفيق قبل سنيات فكتبت رسالة عن علم الامام ولعل فيها مايرفع الشك ويزيح الستار ، ويريك ان علمهم فوق مستوى علم البشر ، وليس بدعا ان تكون لهم تلك السعة من العلم لان الناس في حاجة شديدة الى مثل هذا العلم والعلماء، وكيف

﴿ المكتبة التخصصية للرد على الوهابية ﴾

تستغني عن عالم معصوم عن الخطأ والغفلة والسهو والنسيان ترجع اليه في تصحيح ما لديها من خطأ وشك وارتياب وما شابه هذا، وهل في الامة سواهم من نصبه الرسول علماً للرجوع في الارشاد والتعليم .

اغنياء عن علم الناس

اذا كان علم أهل البيت مستمداً من علم العلام تعالى بواسطة الرسول الامين «ص» وكانوا ـ كما يخبرنا عنهم هذا الحديث ـ علماء بكل شيء، فانهم لامحالة اغنياء عن علم الناس لان الناس اخذوا عن الناس ، وعلى قدر ما بين المصدرين من الفضل يكون التفاوت بين العامين، وكيف يحتاج العالم بكل شيء الى علم مشاب صوابه بالخطأ ، وممتزج صحيحه بالسقم ، وكفى برهاناً على هذا الشأن ماجاء في بعض طرق الحديث من قوله (ص) ولاتعلموهم فانهم اعلم منكم ، ولو كانوا محتاجين الى علم الناس لما كانوا اعلم من جميع الناس بل لزم أن يكونوا من سائر الناس في الفضيلة .

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

الناس محتاجون الى علمهم

اذا كان الكتاب المنير حاويا لعلم كل شيء ، وكان أهل البيت عليهم السلام العلماء بما حواه . فلا محالة اذن من أن الناس كلهم من البدء الى المنتهى ما دام الكتاب ومادام أهل البيت محتاجون الى هذا العلم الذي عند أهل البيت

ولافرق فى تلك الحاجة الى علمهم بين العالم من الناس والجاهل . وبين هذا اليوم وبين اول يوم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله لان خطاب النبي عام يشمل الامة اجمعها ولولم يكن شاهد على تلك الحاجة إلا ان علم الناس مزيج من الصواب والخطأ ، وان علمهم صواب محض ، ويقين بحت لكان فيه غنى عن الاستدلال بعموم الخطاب

ولو لم يجيء فى بعض طرق الحديث : ولا تعلموهم فانهم اعلم منكم الدال على حاجة الناس اليهم طول الزمن لانهم اعلم الناس ، لكان من قوله ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابدا

《المكتبة التخصصية للرد على الوهابية》

دلالة صريحة بأنهم اجمع الناس لصفات الهداية والكمال ومن تلك الصفات العلم ، أترى أن الجاهل أهدى من العالم « أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمّن لا يهدّي إلا ان يهدى »

فكان لزاماً على المسلمة ان تأخذ عنهم دون احد سواهم من الامة ، وتتبع هداهم دون غيرهم ممن زعم العلم والهداية ، وكان حتماً على اولئك الذين تظاهروا بالزعامة او العلم وتصدروا للحكم أو الافتاء ان ينقادوا ويقودوا الناس — ان اتبعوهم — الى اهل البيت روّاد العلم وورّاده ومصابيح الهدى وأعلامه دون ان يحولوا بين الناس وبين ذلك العلم الالهي والهدى الابدي.

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

لا امام عليهم

قد يعني بالامامة تلك الامامة السياسية التي تشف عن الملك ، واخرى تلك الامامة الالهية التي ان انعقدت في الارض كانت بامر من رب السماء

لم تكن امامة انعقدت في الارض وكان مصدرها السماء الا امامة أهل البيت . كما يراه أهل البيت ويراه ثلة من المسلمين فيهم ، بعد ان أقاموا البرهان عقلا ونقلا على ذلك ، وأما الامامة التي يعقدها الناس من دون علاقة لصاحب الشريعة ولا بأمر من الله جل شأنه فليست مرموقة لاهل البيت ولا معنية لهم ولأنصارهم ، ولئن طالبوا بحقهم من الامامة ، او طالب لهم شيعتهم ، فلا يقصدون من وراء ذلك ان يتربعوا على أرائك الملك وانما يريدون ان يثيب الناس اليهم ليقيموا موازين العدل ، وينصروا الحق والدين ، كما هو شأن الامام عندهم

فان تكلمنا عن الامامة فلا نريد منها إلا التي فرضها

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

الرسول «ص» عن الله عزّ شأنه، وتلك الامامة الالهية المفروضة ما ادعاها أحـد سوى أهل البيت ، فمن ثمة تعرف انه لا امام عليهم من الله سبحانه ، واما الامامة المعقودة من بعض الناس فانما يفرضها الناس بعضهم على بعض ، وأين ما يفرضـه الرسول صلى الله عليه وآله عن الجليل تعالى مما يفرضه الناس أنفسهم ، وما فرضه الناس لم ينزل فيه كتاب ولا وردت فيه سنة ولا ينفذ هذا الفرض إلا القوة أو المال لا الكتاب أو السنة فلو لم تكن للامام المفروض من الناس قوة تعضده أو مال يسنده لم تر الناس له امامة ولا طاعة ، أفهذا شأن الامام المفترض الطاعة ؟ .

والحديث الشريف يجعل ـ كما أشرنا اليه بدءاً ـ امـامة وخلافة من الله تعالى فرضاً لا اختيار للناس ولا تخيير لهم فيه ، فاذا كانت امامتهم هي المفروضة من الله والرسول على الامـة فكيف يكون عليهم امام مفروض الطاعة ، ولو كان امام لوجب أن يكون مفروضاً من الله سبحانه على الناس كلهم حتى على أهل البيت فمن هو ذلك الامام وما دليله .

وأما الآية الكريمة القائلة : يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فانها لا تأمر بطاعة يزيد

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

والوليد ممن أظهر الكفر فوق الفسق ، وكيف تفرض طاعة من يجب على المؤمنين حربه وقتاله في الله ونصرة الدين ، نعم إنما تريد الآية ان تفرض طاعة الائمة الذين حبسوا انفسهم على مرضاته تعالى في الشريعة وفي الناس وفي انفسهم ، واتقوه حق تقاته .

انما يحكم العقل والنقل بطاعة مثل هؤلاء ، واما من حبس نفسه على الشهوات وخالف الله والرسول سراً واعلاناً ، او خالف مرة واطاع مرة ، فلا يجوز عليه تعالى ان يفرض على العباد برهم وفاجرهم طاعته ، وكيف يفرض طاعة من تجب اقامة الحدود عليه من عدول اهل الايمان ، ويجب نهيه عن المنكر المقيم عليه ، وامره بالمعروف التارك له .

إن الله أعدل من أن يأمر بطاعة أرباب الكفر والعصيان لاسيما اذا كانت الطاعة من اهل العدل والاحسان .

على اننا لو تأملنا في مدلول هذه الآية الكريمة لفهمنا منها ان المقصود من اولى الامر قوم عصمهم الله من الزلل والخطأ والذنب والعيب ولابد أن يكون قد اعلم الناس عن حالهم ، لئلا يبقى مفروض الطاعة مجهول الاسم والوصف .

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

بل لو تدبرت الآية الكريمة لعرفت ذلك نهاجلياً واضحاً غير خفي ولا غامض، وذلك لان الله سبحانه قد قرن طاعة اولئك بطاعته وطاعة رسوله، وجعل هذه الطاعة واحدة، فعلمنا انهم دون الرسول وفوق البشر فى كل ما يستلزم الطاعة من شأن ، ولو كانوا من سائر البشر أو دونهم في كل شأن لما قرنهم بطاعته وطاعة رسوله ، أيصلح العصاة أن يكونوا في صف الله ورسوله فى الطاعة .

بل ان لفظة اولى الامر نفسها تشهد بان الامر لهم ذاتيّ لانها وصف منتزع من الذات ولو كانت كاللباس المستعار يلبس مرة وينزع أخرى ، ان رأوا انهم أهل الامر أو رآهم بعض الناس اهلاله كانوا كذلك ، وان غضب الناس عليهم وانتزعوهم ذلك الوصف انتزعه الله منهم ونهى عن طاعتهم ، لما كانوا اولياء الامر حقيقة ولا كان الوصف لهم ذاتاً .

أترى ان الله يتبع العباد فيما يرون ويرغبون فان رأوا طاعة احد رآها أو نقموا عليه وعزلوه عزلها الله عنه الى من اختاروه أو اختار نفسه لها ، فيا ليت شعري أهكذا تكون الطاعة المفروضة منه تعالى المقرونة بطاعته وطاعة الرسول كرة بايدي اللاعبين يوجهها حيثما شاءت الاهواء ، وكيفما رغبت النفوس ،

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

ولو جاز ذلك في الامام لجاز في النبي ، فلا نبيّ إلاّ ما اشتهت الناس نبوته .

كلا . اننا لو تجردنا عن النزعات لفهمنا من لفظة اولى الامر ههنا أنها صفة خاصة بهم ، منحة لهم منه جل لطفه دون الناس كلهم لباساً فصل على معاطفهم لا يعار ولا يستعار ، ولا يلبسه ولا ينزعه الهوى ، كريشة في مهب الريح ، كما كان كذلك شأن النبوة ،

فالحديث الشريف عندما يفرض امامة اهل البيت والتمسك بهم يفرضها على الامة جميعها . الزعماء والسوقة والعلماء والجهلة من حين وفاة الرسول « ص » الى قيام الساعة ، فمن أين تكون امامة عليهم ، وما تفرضه الناس على انفسهم وعلى اهل البيت لا يكون فرضاً من الله تعالى ، بل لا يمضي ذلك الفرض حتى على اولئك الناس انفسهم الذين اوجبوا تلك الطاعة عليهم ، فان الوجوب والحرمة ومتعلقاتها من الطاعة والمعصية لا يصار اليها إلا بحكم من صاحب الشريعة ، لا بحكم من الناس حسب الهوى والرغبة . ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام .

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

لا خليفة قبلهم

لا يراد من الخلافة إلا الامامة ، فالخلافة اذن قسمان مفروضة منه تعالى ومجعولة من الناس ، فما كانت منه عزّ شأنه فالحديث يجعلها للعترة خاصة على الناس اجمع ، وما كانت من الناس فلا نقصدها بالبحث ، فلا بدع لو نقول :

ان لا خلافة إلهية قبل خلافتهم ، ولا بعد خلافتهم حتى الحشر والنشر ، ولا مقارنة لخلافتهم .

ان الحديث الشريف يقول : إني تارك فيكم الثقلين ، فالثقلان هما الخليفتان من بعده ، ولو كان هناك خليفة من الله تعالى دونهما أو قبلهما أو معهما أو بعدهما لاخبر عنه الرسول (ص) كما أخبر عنهما ، وآية اطيعوا الله قد أوضحنا البيان عنها ، على انها انما الزمت بطاعة اولى الامر ، وليس فيها دلالة على أن اولئك الذين تسلقوا العروش من اولى الامر ، بل نحتاج فى اثبات انهم من اولى الامر الى

﴿ المكتبة التخصصية للرد على الوهابية ﴾

دليل آخر ، فان ادلة الاحكام لاتثبت موضوعاتها إلا ان ينص الدليل على موضوعه ، وليس فى الآية دلالة على تشخيص اولياء الامر ، وما كل من يزعم انه منهم يكون منهم .

فهذا الحديث يثبت اما ان الخليفة للرسول هو الكتاب والعترة ، وهو المشخص لاولى الامر المعنيين من الآية الشريفة ، فكيف يكون بعدئذ عليهم خليفـة لم يفرضه كتاب أو سنة أو عقل .

واما حديث اصحابي كالنجوم فقد عرفت ان الاخـذ بعمومه يوقعنا فى هوة لانجاة منها ، فان النبي الناصح لامته أهدى من ان يجعل من المنافقين والخائنين قدوة لهم فحمله على البررة منهم المتمسكين بالثقلين او على خصوص الاصحاب من أهل البيت اجدر ، ولوساغ لنا ان نأخذ بعمومه فلا نفهم منه انه يجعل من الاصحاب ثقلا يعارض الثقلين ، وخلافة تنافس خلافـة أهل البيت، لان الرسول بعث رحمة فلايجعل من الامة أئمة يقضى تنافسها على الامامة بالبلاء والنقمة ، وكان من منافسة الصحابة لاهل البيت على الخلافة مواقف دامية لايجهلها الناس والتاريخ.

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

التمسك بهما معاً طريق الهدى

إن الحديث ينطق بان الهدى بالتمسك بالثقلين معاً ومعنى ذلك ان التمسك بهما معا مصطحبين ، والاخذ عنهما معا متفقين ، دون ان يكون بواحد منهما بانفراده دون قرينه.

والوجه في ذاك هوان القرآن الكريم - كما سبق بيانه - نزل على الرسول (ص) تبيانا لكل شيء ، ولم ينكشف للناس ذلك الايضاح الجامع فاما ان يبقى الكثير منه غامض السر فلا تحصل الفائدة الكبرى من تنزيله والغاية القصوى من اعجازه ، وان كان بحده الان غزير النفع ، لا يستطيع الانس والجن ان يأتوا بمثله وان كان بعضهم لبعض ظهيرا ، او تنكشف للعالم اسراره الجليلة ويبهر الناس اعجازه اكثر مما يلمسونه اليوم عندمايقفون على تلك الاسرار الغامضة .

ان الله عز شأنه لم ينزل القرآن ليخفي على الناس ماحواه

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

من سر ونفع ، وانما انزله اصلاحاً للبشر ودلالة على وجوده ووحدانيته ، وهـذا الشأن يحتم بان يكون له اهل يعلمون تلك الخفايا منه ، ليكونوا ادلة على الوجود والتوحيد وهداة للعباد .

وما اولئك العلماء بالكتاب الادلاء على ذاته وعبادته الا اهل البيت بعد رب البيت ، ولو لم يكن الا هـذا الحديث دليلا على تلك المنزلة القدسية للعترة لكفى به هادياً ودليلا .

وان مما يرشدنا الى حاجة التنزيل الى التأويل - سر أودعه الله فيه — هو اقتحام الامـة من البدء حتى اليوم للقيام بهذه المهمة الكبرى ، وما زال يتجدد هذا القيام والاهتمام في كل عصر وجيل ، وما زالوا قاصرين عن بلوغ سره الغامض وفائدته القصوى ، وما زال غامض السر مع اجتهادهم في التأويل وكلما زعموا انهم كشفوا جانبا من مختبياته عاد كأنه طلسم لم يحل واختلافهم في تأويله ، واعترافهم بعدم الوصول لأسراره كلها يشعرنا بأن له اهلا لا يعدوهم ذلك التبيان الجامع ، فان الله اعدل من ان يترك الناس في تأويله كحاطب ليل وعشواء في ظلماء ، دون ان يجعل لهم مصباحاً يستضيؤن بنوره ، ودليلا يسيرون على هداه ، وما كان ذلك الاختلاف فيه وعشوتهم عن

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

بلوغ سره العجيب الا لصفحهم عن ذلك المصباح الوضاء ، والدليل الهاد ، وماذلك الصفح يخرجه عن الاضاءة والدلالة .

ولو كان الناس على هدى في تأويله لاتفقت كلمتهم واتحدت مذاهبهم فيه ، وليس الاختلاف من الكتاب نفسه ، وكيف يكون فيه اختلاف وهو نازل منه جل شأنه ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً .

فاذا تجلى لنا ان الكتاب لا يستغني ابداً عن المفسر العالم بنزوله وتأويله فكيف يمكن التمسك بالكتاب اخذاً بتعاليمه واحكامه وعبره وسيره من دون ان نرجع الى ذلك العالم بالتأويل وكيف نكون آخذين بما حواه ونحن على ذلك الجهل والاختلاف فيه .

واما التمسك بالعترة دون الكتاب فضلال حتماً ، لان العترة حملة علم الكتاب ، والحاملون على تعاليمه ونصائحه ، فكيف يؤخذ باهل التأويل ويترك التنزيل

على ان التمسك بالعترة دون الكتاب لا يكون ابداً لانهم لا ينطقون الا عن وحيه ولا يدلون الا عليه ، فالاعتصام بهم لا ينفك عن الاعتصام بالكتاب وبالنازل منه وبالنازل عليه .

﴿ المكتبة التخصصية للرد على الوهابية ﴾

فبان لنا بعد هذا البيان ان التمسك لا يكون بالكتاب دون قرينه العترة ، ولا بالعترة دون مصدرها الكتاب، وانما يكون بالاخذ بهما معـا مقترنين ، وبعروتيهما معا متفقين ، بل ماهما الا عروة واحدة لا يمكن التفكيك بين حلقها المتماسكة .

غير ان العترة اللسان الناطق للكتاب الصامت ، فـلا نقدر ان نتمسك بالكتاب من دون طريقهم ، لان معرفة مافيه بكشف خفاياه، والتمييز بين محكمه ومتشابهه ، وناسخه ومنسوخه وما سوى ذلك ، لا يكون صحيحاً الا من بيانهم وايضاحهم .

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

العترة هادون مهديون

فاقد الشيء لا يعطيه ، فاذا كان التمسك بالثقلين طريق الهدى والحق كان الثقلان لا محالة هاديين مهديين ، ولا يجوز عليهما الضلال كما لم يجز الاضلال ابداً ، وهل يكون الضال هاديا والجاهل معلما ، والعادل عن الطريق دليلا .

إذن فما دام العترة مهديين وهداة ابداً كان الهدى باتباعهم ، والرشد باخذ تعاليمهم ، كما ان الضلال بالانحراف عن سبيلهم ، والهلاك في اجتناب واديهم — ياعمار ان سلك الناس كلهم واديا وسلك علي واديا فاسلك وادي علي ، فانه لا يضلك عن هدى ، ولا يدلك على ردى — .

فلو وجدنا في الناس من عاداهم وقاومهم فعادوه وقاوموه عرفنا ان الرشد معهم والضلال مع من خالفهم ، هذا علي ومعاوية وعلي والجمل ، وعلي والخوارج ، وذاك حسين ويزيد ، وهذان

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

زين العابدين والباقر وبنو امية ، وهؤلاء الصادق والأئمة من بنيه وبنو العباس ، وعلى هذا القياس في غيرهم ممن حارب اهل البيت اوعاداهم ، ونظر اليه أهل البيت نظر بغض وشنآن ، لا بد أن يكون الهدى والحق والرشد مع علي وبنيه عترة المصطفى يدور ذلك معهم حيثما داروا ، والزيغ والضلال والباطل مع اعدائهم ومحاربيهم تدور معهم حيثما داروا ، لان الهدى عند ما كان بالتمسك بأهل البيت ، كان الضلال بالتمسك باعدائهم إذ لا يجوز ان يكون فى الامة امامان متعادين في الله وفي الدين وعلى الدين وهما معا هاديان مهديان ، والتمسك بهما معا طريق الهدى والصلاح .

فلا ريب اذن فى ان الهدى الف الصالح منهما ، والضلال قرين الظالم منهما ، إن الظالم لا تصح امامته عند الناس فكيف عند الله ، لا ينال عهدي الظالمين .

ولكن يعظم فى النفس ضلال طوائف من المسلمين ، وشقاء رجال لهم سبق الى الاسلام ، وزيغ اناس جروا على سننهم ، وما ذلك الضلال والشقاء والزيغ إلا لانهم خالفوا أهل البيت أو حاربوهم ، أو تركوا طرائقهم ومذاهبهم في الدين

﴿ المكتبة التخصصية للرد على الوهابية ﴾

وسلكوا مناهج اخرى لا ترضيهم .

غير ان الادلة تدفع ذلك الاستعظام ، فهذه آية الانقلاب وذاك حديث الافتراق ، وهذا حديث الحوض الذي يفصح عن طردهم عنه حتى لا يبقى منهم الا مثل همل النعم وهناك حديث لتركبن أمتي سنة بني اسرائيل ، الى كثير سواها ، وهاتيك الايات والروايات اللواتي تجعل الهدى مع اهل البيت والهلكة بالتقدم عليهم أو التخلف عنهم وان حربهم حرب الله وحرب رسوله وسلمهم سلمهما مما يخرجنا استطراده او ذكر مفاده عن الصدد ولو اردنا ان نصفح عن امثال هذه المواقف المؤسفة ونبقى نحن واهل البيت دون ان ننظر الى اولئك المعادين لهم لايقنا بان التمسك باهل البيت سلم النجاة وان الله تعالى لا يسألنا عن غيرهم ان جهلنا حال ذلك الغير .

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

الامة واهل البيت

إن عموم قوله فيكم وماان تمسكتم يشمل جميع الامة ، من دون استثناء لاحد كما سبقت الاشارة اليه فالامة بأجمعها من بدء وفاة الرسول (ص) حتى اليوم مسئولة عن التمسك بهم وما التمسك المنجي من الضلالة ابداً الا الاتباع لهم واطاعتهم ، وهل يأمرون الا بما فيه الهدى والصلاح والسعادة ، او ينهون الا عما فيه الزيغ والفساد والسوء .

ولو لم يكن لدينا آية أو رواية تهدينا الى طاعة العترة والاعتصام بهم الا هذا الحديث لكان به غنى في الالزام ، كيف والبراهين على ذلك لا ياتي عليها العد .

ولكن هلم وانظر الى ما كان من الأمة معهم من يوم وفاة النبي « ص » الى اليوم ، ويا ليت انهم كفوا أو اكتفوا بالعصيان وحده ، دون ان ينالوا منهم مالم يخطر ببال . حتى

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

تركوهم بين قتيل وسميم وطريد ومغيب ، فاين هم عن آيات التطهير والمباهلة والتصدق وهل اتى وغيرها ، واحاديث الباب والسفينة وحربهم حربي وغيرها مما يعسر استقصاؤه .

انا لا اريد أن أبحث عن هذا الشأن فان الناس لا تجهل ما كان من الناس مع اهل البيت ، من البدء حتى الساعة ، ولئن تناسى الناس اليوم تلك الحوادث المؤلمة فالتأريخ خير مذكر ، ولا اريد لفتك الى ما عليه اولئك المحاربون لاهل البيت من الضلال والزيغ ، فانه لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ، وان كل نفس بما كسبت رهينة ، ومن احسن فلنفسه ومن اساء فعليها .

وانما اريد أن أوقفك على ما يوصلنا اليه هذا الحديث الشريف من مكانة اهل البيت ، وما يجب علينا من الوقوف إزاءهم . فان كنت اصبت القصد فيما كتبت فهو اقصى الارب وان اخطأ فهمي وقلمي الهدف فلست من ارباب العصمة ، فعلى اخواني من اهل الايمان ان يأخذوا بيدي الى سواء السبيل ، ومحمود الطريقة ، فان المؤمن دليل اخيه المؤمن ومرآته ، وما قصدي مما حررته الا وجه الله سبحانه والقلوب بيده ، والسلام على اخواني المؤمنين جميعا راجيا منه تعالى لهم ولي التوفيق والهداية

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

والحمد لله تعالى وصلاته وسلامه على النخبة المنتقاة محمد والعترة الهداة بدءاً وختاماً .

وقد فرغت من تسويد هذه الرسالة في العاشر من شوال عام ١٣٦٤ هجرية في مدينة النجف الاشرف ، والقيتها في ثلاث محاضرات في المجمع الثقافي الديني لمنتدى النشر الاغر ورجائي منه تعالى ان يجعله ذريعة لنشر المعارف الدينية وجامعة الاخلاق والفضيلة ، وان يأخذ بيد مؤسسيه وناصريه انه سميع مجيب .

﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

آثار المؤلف المطبوعة

ميثم التمار

الشيعة والامامة

الثقلان

تاريخ الشيعة

الامام الصادق (جزءان)



﴿ المكتبة التخصصية للرد على الوهابية ﴾

اصدار
مكتبة نينوى الحديثة
طهران ناصر خسرو مروى

﴿ المكتبة التخصصية للرد على الوهابية ﴾